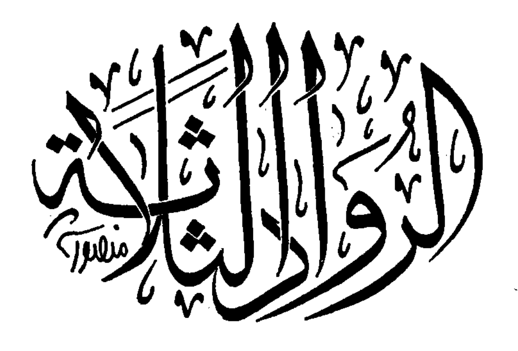
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه





الطبعة الأولى ــ ١٣٩٨ هـ
نادى الطائف الأدبى

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ
دار العلوم ــ الرياض
ص . ب ١٠٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمـد الله الذى يتولى الصالحين والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

اما بعد . . فقد كنت اذعت بعض فصول هذا الكتاب من اذاعة مكة منذ امد بعيد ونشرت بعضها في المجلات المحلية ثم رأيت ان اجمع كل ما اذعته ونشرته في كتاب مستقل يقف عليه كل من يعني بدرراسة سير الرواد من سلف هذه الامة وخيارها وفي الطليعة فارس الاسلام سعد ابن ابي وقاص ومصعب ابن عمير اول مبعوث للرسول صلى الله عليه وسلم للتعليم في دار الهجرة – وابو هريرة – وعاء العلم الزاخر – رضي الله عنهم اجمعين فلقد ارتادوا للامة المنتجع الذى تجد فيه الخير بكل معانيه ودروبه – ألا وهو نعيم الجنة ولا سبيل للوصول اليه الا بالسعي الحثيث والزهد في الدنيا

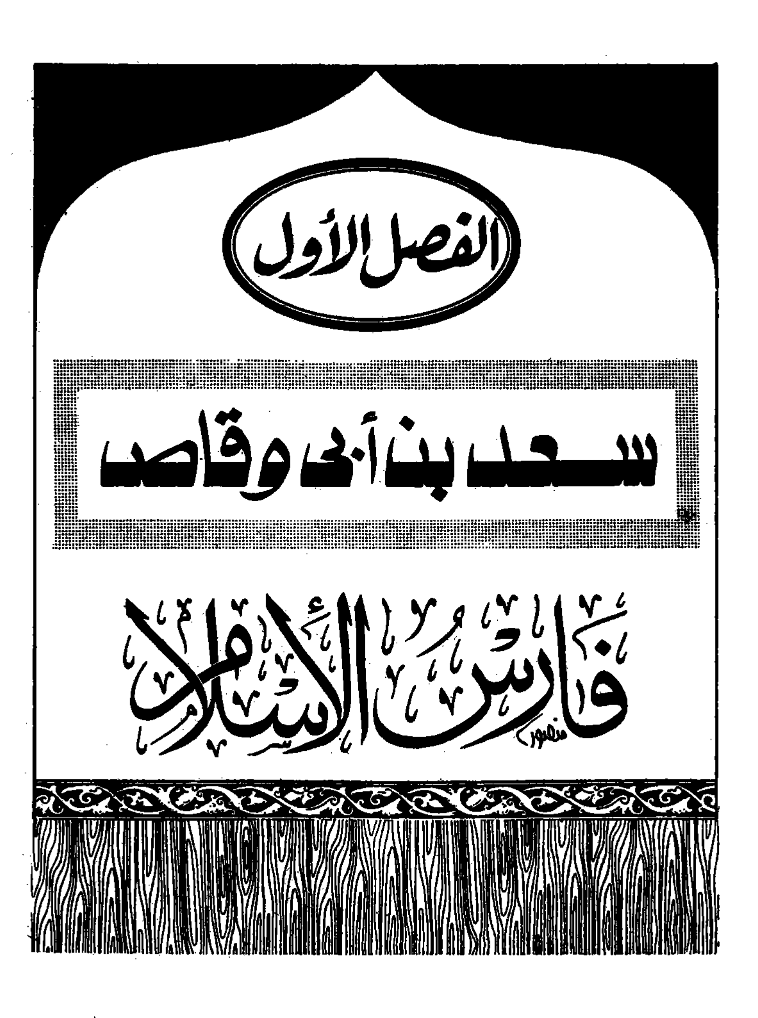
ومباهجها – وزخارفها – وإلاّ بالتضحيات العظيمة – وجهاد النفس والهوى والشيطان – ومصاولة اعداء الاسلام .

وسوف يجد القارئ في تتبعه لفصول هذا الكتاب ودراسته لحياة الرواد الثلاثة سوف يجـد كل ذلك بارزا في حياتهم فلقد جاهدوا الهوى والنفس والشيطان وجالدوا اعداء الاسلام حتي كتب الله النصر للمسلمين ومكن لهم في الارض ففيهم وبهم القدوة الصالحة للاجيال على تعاقبها رضي الله عنهم وعن سائر الصحابة اجمعين .

وصلى الله على نبي الرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

المؤلف

حرر في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٩٨ هـ عبد الله بن عبد الغني خياط



ترجمته في :

الإصابة ٣٣/٢ ط الأولى ١٣٢٨ هـ بمطبعة السعادة بمصر – والاستيعاب ١٨/٢ ط الأولى ١٣٢٨ بمطبعة السعادة بمصر على هامش الإصابة وتهذيب الأسماء واللغات ٢١٣/١/١ ط : إدارة الطباعة المنيرية .

حلية الأولياء ٩٢/١ الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ .



تمهيـــد :

في ربوع بني زهرة حيث المناظر الخلوية الاخاذّه والازهار البهيجة العطرة والحياة الفطرية المرحة المبسطة وعلى مقربة من البيت الحرام وفي رحاب الحمس انجب مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهرى القرشي وليداً ميمون النقيبة محمود الطالع مجدود الحظ ذلك هو سعد بن ابي وقاص — زين مواليد بني زهرة ومن خير من شب عن المهود .

نشأ سعد وترعرع كما ينشأ فتيان العرب الاقحاح . نشأ على جملة من الأَخلاق الفاضلة هي في مجموعها خير ما توحي به البيئات العربية وخير ما ينطبع في نفوس الناشئة منـــذ نعومة الاظفار وغضونة الأَجساد ـ نشأَ سعد على الصراحة في القول وصدق اللهجة وسماحة النفس وصفاء الطوية وحرية الضمير والثبات على المبدأ ورباطة الجأْش والشجاعة في منازلة الاقران ومصارعة الاهوال والصبر على الشدائد وكل هذه الخلال الكريمة كان لها ابرز الاثر في حياة سعد واطيبه . وبها استطاع سعد ان يشق طريقه في الحياة وان

ينفض عنه غبار التقليد ان يكون له رأيا مستقلا يناهض به آراءَ قومه وشيوخ عشيرته وخاصة في الناحية الدينية والخلقية وبعبارة اوضح استطاع سعد بحصافته وسديد تفكيره ورجاحة عقله أَن يفكر في حياة أَرحب ونطاق أَوسع من نطاق حياة الجاهلية المهلهلة المرقعة ذات الاصباغ والالوان والمذاهب المتداعية التي لا ترتكز على عقل رشيد او منطق سليم ولا يهيمن عليها دين سماوى صحيح أَو مبدأ قويم وكانت أَولي محاولاته الرشيدة ان استجاب لداعي الحق اذ دعاه ونبذ كل ما كان سائدا في الجاهلية جمعاءَ من عقائد ونحل واخلاق وعصبيات رعناءَ بلغت بهم اقصى دركات الانحطاط والاستخذاءَ والاستعباد وزايلهم بها الرشد وانحرفوا عن جادة الحق وطريقه القويم .

اعتنق سعد الاسلام دينا مقدرا ما للاديان السماوية من القداسة والحرمة والتعظيم والاستسلام وانضوى الى حظيرته سابع سبعة ، ولما يتم بعد العقد الثاني من عمره وخالطت بشاشته قلبه واستنارت به جوانب نفسه واطمأنت اليه .

لم ترق هذه الخطة المثلى التي رسمها سعد لنفسه في نظر قومه والأَدنين من عشيرته فانها لوا عليه تعنيفا وتبكيتا

وتسفيها وتحميقا وتضليلا دأبهم مع كل من صبأ على حدّ تعبيرهم واعتنق الدين الجديد – وكان اشدهم عليه نقمة امه التي ولدته وارضعته اذ حرمت على نفسها الطعام والشراب حتي يرجع عن دينه ، الذى قوض صروح الآلهة وانزلها الى الحضيض والدين الذى سفّه الآراء لتقليدها الاعمي للآباء والاسلاف دون ما تبصر او تمحيص .

الدين الذى يامر بالمعروف وينهي عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث والارجاس هـذا الدين هو الذى استهدف من اجل احتضانه سعد وغير سعـد من المسلمين السابقين الى الاذى والتنكيل والضرب والتعذيب ولكن سعدا الرشيد المؤمن الصادق في ايمانه لم يكن شيءٌ من ذلك ليفتّ في عضده او يعدل به عن قراره رسمه لنفسه ودين ارتضاه ومبدأ اعتنقه حتي امّه احب الناس اليه واعظمهم منزلة من نفسه لم يكن غضبها عليه من اجل اسلامه ليحولهّ او يصرفه عمّا اختاره وارتضاه .

ولقد فعلت ام سعد الافاعيل فأضربت عن الطعام والشراب ولبثت في الشمس ثلاثا مكدودة مجهودة محاولة بذلك التأثير عليه ، ولمّا لم يعر ذلك اهتماما دعته قائلة يا سعد ، اين

برك وطاعتك بامك اين عطفك وحدبك على امك ابهذا يأمرك دينك ، انني لأنظر الي الموت وقد تابع الىّ قفزاته ، وعمّا قريب سوف اكون من الهالكين ، ولئن كان ذالك فسوف تعيرّك العرب بي وتقول هذا قاتل امه ، افيرضيك ذالك ، هلاً أَبقيت عليّ يا بني ورحمت امومتي واطاعتني فيما اريد من العودة الى دين آبائك واسلافك فرضيت عنك الآلهة وقرت بك عيني فردّ عليها سعد في حزم وصرامة قائلا : يا أُماه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فان شئت فعاودى ما تركته من طعام وشراب وراحة ومتعة وانا على عهدك بي من البر والطاعة في غير معصية الله واحسان صحبتك وذالك ما يفرضه على ديني نحوك ثم اخذ يردد ما انزل الله بسببه وهو قول الله تعالي (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) (١٥ لقمان) .

واجتاز سعد هذا الدور الرهيب الحافل بالمتاعب والعنت والارهاق متدرّعا بالصبر موطدا العزم على التضحية مؤمنا ان للباطل جولة ثم يضمحل ويتلاشي وان هو إلا الغثاء والزبد الذى سوف يجرفه تيّار الحق وسلطانه الغلاب جازما بتحقيق

وعد الله تعالى الذى قطعه على نفسه لعباده في محكم آياته حيث يقول (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشر كون بي شيئا) (٥٥ النور) .

ويرهف سعد سمعه الى تعاليم الدين . دين الفطرة ثم ياخذ بما اخذ به صحبه من الفرار بدينهم من وجه الظلم والطغاة المارقين الى شعاف الجبال اذ كانوا قلة في العدد والنصير يذكرون الله تعالى ويمجدونه ويخلصون له العبادة ويصلون اليه .

ويأبى الظالمون الآ التمادى في الغي والايغال في النكاية والاسراف في الايذاء والمضايقة فيعمدون الى تعقب المسلمين وتتبعهم في غدوهم ورواحهم واتجاهاتهم وكل محاولاتهم ويعثرون على سعد في نفر صحبه وقد نبذو الدنيا وراءهم ظهريا واتجهوا بقلوبهم الى الله العظيم خالقهم يصلون له مخبتين ويهول المشركين هذا الموقف البالغ اقصي حدود الروعة والجلال وتدور برؤسهم حميّا حب الآلهة ويستفزهم الشيطان فينا كروا المسلمين ويعيبوا عليهم دينهم وما يصنعون واذا الحماس يبلغ بالمسلمين اشده واذا غريزه حب الانتقام

تتحرك في نفوس المشركين انتقاما لحرمة دينهم المنتهكة وذوداً عن كرامته المهدورة واذا سعد الشجاع يتقدم الرفاق ويهوى بلحي بعير على ام رأس احد الباغين فيشجّه وما ان رأى الطّغاة جرأة سعد واقدامه وصلابته في دينه حتي لاذوا بالفرار لا يلوون على شيء .

وهذه اولى مغامرات سعد الناجحة عنوان لها التاريخ بحروف كبيرة في ابرز صفحاته وعدها ـ اول حادثة من نوعها اهريق فيها دم للطغيان بيد سعد فارس الاسلام رضي الله عنه

نضال سعد وبلاءوه الحسن :

تفاقم الخطب وضاق المسلمون ذرعاً باء حابيل المشركين وتعسفهم واضهاداتهم واعناتهم وصلفهم وشديد اذاهم فتجمع من المسلمين منهم رهط من اولى الشجاعة والبأس كان من بينهم سعد وذهبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنونه في ردّ حيف المشركين بمنازلتهم ومقابلة عدوانهم بالردّ والمصامدة وعدم الوقوف مكتوفي الايدى امام بغيهم الطائش وكان ما قالوه في اسلوب منطقي رصين يا رسول الله . لقد كنا اعزة ونحن على الشرك والضلالة افبعد ان منّ الله علينا بالهداية والاسلام نغدوا اذلة ؟

ولكن الرسول الكريم الذى لايصدر الا عن وحي سماوى ولا يتصرف الا بتدبير الهي اجابهم بلطف قائلا ـ (كفوا ايديكم عنهم انني لم أُومر بقتالهم) .

بيد ان امد المسالمة والموادعة لم يطل فكانت الهجرة الى المدينة وكان سعد في طليعة المهاجرين وبها قويت الروح المعنوية وعظمت شوكة المسلمين وعز جانبهم . وشاء الله ان يديل للحق من الباطل ـ ويخضد شوكة الشرك ويوقف الطغيان عند حدٍّ فأذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في امتشاق الحسام وانتضاء السيوف من الاغماد . وكانت اولى الوسائل التي عمد اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لمضايقة قريش ضرب حصار اقتصادى على صادراتها ووارداتها بغية اضعاف مواردها وتحطيم سطوتها فكانت السرايا وكانت الغزوات ولمع نجم سعد في سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ وقد اصطدمت ـ السرية بأبي سفيان بن حرب صاحب تجارة قريش في جيش يفوق السرية عدداً وكانت الحظوة لسعد برشق هـذا الجيش اللجب بأُولى سهامه وعاد التاريخ مرة ثانية يسجل بطولة سعد ويشيد بذكراه ويفخر ان كان سهمه اول سهم رمي به في الاسلام وعاد سعد ينشد ابياته المشهورة :

الاهل اتى رسول الله انـي حميت صحابتي بصدور نبلي
اذود بها اوائلهم ذيـادا بكل حـزونة وبكل سهل
فما يعتـد رام مـن معـدٍّ بسهم مع رسـول الله قبلي

ثـم تتابعت السرايا تعززها الغزوات وسعد المجاهد قطب رجاها وابن بجدتها فهذه سريته الى الخرار من ارض الحجاز يغذّ فيها السير ويستحث الخطي .

ليعترض عيراً لقريش فيصادرها ويشل حركة تجارتها وينكب قريشا في الصميم ثم يكون سعد في سرية عبد الله بن جحش الأسدى الى نخلة المعروفة الآن باسم الزيمة للغرض نفسه ويكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بواط يحمل لواءه ـ وبواط جبـل لجهينة ناحية رضوى ـ ثم تكون غزوة بدر الكبرى فيظهر سعد فيها بطولته وتنشب المعركة فيصول فيها ويجول . اصدق وصف له قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه ؟ رأيت سعداً يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجـل .

واشترك مع رجلين ممن حضر المعركة فيما يصيبون من الغنيمة فجاءَ سعد بأسيرين ولم يظفر شريكاه بشيءَ ثم تكون بعدها غزوة احد ويبلو سعد فيها بلاءً حسناً ويناضل نضال الابطال ـ

ثبت حين انهزم الناس . وصمد للعدو وقد تحرج الموقف وذاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احدق به الخطر وكان سعد سديد الرماية فنثر له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته واخذ يلهب فيه الحماس ويشحذ عزمه بقوله (ارم سعد فداك ابي وأمي وأَنت الغـلام الحزور)[1] قال على بن ابي طالب رضي الله عنه ـ ما سمعت رسول الله عليه وسلم يفدى احـداً بأَبويه ـ الا سعد بن مالك ابن ابي وقاص وكانت بنت سعد بعد ذلك تقول مفتخرة معتزة أَنا بنت ـ المهاجر الذى فداه رسول الله بالأَبوين .

وقد أُحصي ما قذف به سعد في هذه الواقعة من السهام فبلغ أَلف سهم وهو رقم قياسي قل ان يبلغه الا المغاوير الأَ فذاذ مع السداد والنكاية بالعدو .

وجملة القول أَن سعداً حضر كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اولئك ـ الموهوبين الذين يستطيعون بما أوتوا من حنكة ومراس ودربة أَن ينظموا الصفوف ويغيروا مجرى الحوادث ويسيطروا عـلى الموقف مهما كان خطيراً ويكسبوه لصالحهم ومن ثم كان يدعي بفارس الاسلام .

---

(١) الحَزْوَر والحزورّ الغلام القوى .

شخصية سعد :

وبعد ـ فأن شخصية سعد وعبقريته وأعمال بطولته وكريم خلاله لمما يبعث على التساؤل عما اذا كان لسعد بين المجموعة الاسلاميه في الرَّعيـل الأَول مركز مرموق أو مكانة ذات بال أو حظوة تحوطه بهالة من الرّعاية والتقدير ؟ أَجل أَن ذلك بدهي لا يحتاج الى تدليل . يعرفه كل من له اشـارة من علم بالسِّيَر أَو المامه بالتاريخ الاسلامي أَو دراسة للقصص العربي فثمة قصة سبقه بالاسلام واراقته أَول دم في سبيل الله ورميه بأُولى سهامه من أَجل نصرة الدين ـ وتفدية الرسول صلى الله عليه وسلم له بأَبويه . ثم قصة مباهات الرسول أَصحابه بخؤولة سعد وقوله هـذا خالى فليرني امرؤ خاله . كل ذلك له قيمته واثره في المجموع وله خطورته وجلاله . وهو ما يضفي على شخصيته التجلة والاعظام ويشعر بمدى ما كان يتمتع به من مركز ممتاز ومكانة سامقة ثم قصة حراسته للرسول صلى الله عليه وسلم وقد ارق ليلة في المدينة نستمع اليها من أَم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما تكشفت عنه من عظيم المكانة التي كان يحتلها سعد في نفس الرسول ـ الكريم ـ قالت عائشة رضي الله عنها ـ ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال ـ (ليت رجلا صالحاً

يحرسني الليلة) قالت اذ سمعنا صوت السلاح فقال من هذا من هذا قال أنا سعد بن أبي وقاص جئت أحرسك يارسول الله . قالت فدعا له ثم نام حتي سمعت غطيطه ـ ثم القصة الطريفة قصة عبد الله بن عمرو بن العاص وما كان من احتياله على سعد في المبيت عنده رغبة في استطلاع أسراره وكشف ما يكون من معاملته لربه في الخلوة كي يقتدى به فيبلغ ما بلغه سعد من علو الدرجات ورفيع المنزلة .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يطلع الان عليكم رجل من أهل الجنة) فاطلع سعد بن أبي وقاص حتي اذا كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول حتي اذا كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال فطلع على ترتيبه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لسعد ـ غاضبت أبي فأقسمت الأ ادخل عليه ثلاث ليال فان رأيت أن تؤويني حتي تنحل يميني قال سعد : فعلت . قال انس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتي اذا كان الفجر فلم يقم من تلك الليلة شيئاً غير انه كان اذا انقلب

على فراشه ذكر الله وكبره حتي يقوم مع الفجر فاذا صلى المكتوبة اسبغ الوضوء واتمه ثم يصبح مفطرا . قال عبد الله بن عمرو فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لايزيد على ذلك غير اني لا أسمعه يقول الا خيراً فلما مضت الليالى الثلاث وكدت احتقر عمله قلت ــ إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة) فطلعت أنت فأردت أن آوى اليك حتي أنظــر ما عملت فاقتدى بك لأنال مانلت فلم أرك تعمل كثير عمل ما الذى بلغ بك .

ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد ــ ماهو الا الذى رأيت غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ولا أنوى له شراً ولا أقوله . قال عبد الله بن عمرو هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطيق .

وهذه القصة تحكي لنا الشيء الكثير عن مثالية سعد وعن مبلغ الشعور برفعة مقامه وسمو مركزه وعلو كعبه .

العطف النبوى على سعــد :

اشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد من علة الزمته

الفراش واشتدت وطأتها عليه وذلك عام حجة الوداع فقدم عليه يعوده ولبث معه ساعة من الزمن يسليه ويعزبه ويرفه عنه ويشاطره متاعبه ويخفف عنه احزانه وآلامه ويرقيه ويدعو له . وكانت تلكم الوعكة ـ والساعة التي قضاها الرسول الكريم بجوار سعد هي أجمل الذكريات في دنيا الماضي الحافل بالذكريات . ولم تكن هذه الفترة المباركة من الزمن والتي قضاها الرسول بجانب سعد لتفوِّت على المجموعة الاسلامية فرصة الاستفاده ـ والدرس والاقتباس من هدى الرسالة

بل لقد افادت منها تشريعاً وحكماً اسلامية هو في الطليعة بالنسبة لأحكام المواريث . وهو ـ الدعامة للمجتمع الصالح من حيث محاربته للفقر احد عناصر الثالوث البغيض ـ وقد كشفت محاوره سعد للرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الجلسة عن معجزة نبوية تحققت بمرور الزمن ـ تلك هي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم من طرف خفي بالفسحة لسعد في الأجل بحدوث احداث يكون لسعد فيها اروع الأ ثر . وعدى ذلك هذه الرقى النبوية النافعة والتي كان فيها لسعد علاج ناجع وبلسم لاحزانه وترياق لعلل الحياة ومتاعبها ثبت في الصحيحين بالسند المتصل عن عامر بن سعد عن ابيه ان رسول الله صلى

لله عليه وسلم جاءَ يعوده عام حجة الوداع من وجع اشتد به فقلت يارسول لله اني ذو مال ولا يرثي الا ابنــة أفأَتصدق بثلثي مالى ؟ قال لا . قلت فالشطر يارسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك اغنياءَ خير من أَن تذرهم عالة يتكففون الناس وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أَجرت عليها حتي اللقمة تضعها في فم امرأتك .

قلت يارسول الله . اخلَّف بعد أَصحابي ؟ فقال انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله الا ازددت به درجة ورفعة ولعلك أَن تخلف حتي ينتفع بك أَقوام ويضربك آخرون . ثم قال ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم امضى لأَصحابي هجريهم ولا تردهم على اعقابهم . ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على جبهة سعد فمسح وجهه وصدره وبطنه وأَخــذ يرقيه ويقول (اللهم اذهب عنه البأس إلــه الناس ملك الناس أَنت الشافي لا شافي له إلا انت ـ بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حسد وعين اللهم اصح قلبه وجسمه وأَكشف سقمه وأَجب دعوته) قال سعــد . فمازلت يخيل الىَّ انى أَجد برده على كبدى حتي الساعة .

وسئل عامر بن سعد عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد (وعسي ان تخلف ينتفع بك اقوام ويضربك آخرون) فقال امر سعد على العراق فقتل اقواماً على الردة فضرهم واستتاب قوماً كانوا سجعوا سجع مسيلمة الكذاب فتابوا فانتفعوا به . ا هـ وفتحه لبلاد كسرى كان خيراً للاسلام وضرراً على المجوس .

رقـة سعـد وزهـده :

كان سعد رقيق القلب واكف العبرة سخين الدمع يتململ تململ السليم أى اللديغ كلما مرَّت المواعظ به والعبر او خلا بنفسه فاستذكر المعاد وما يكون من هول الموقف ومناقشة الحساب وما وراءَ ذلك من حياة سعادة أَو بلاءَ وشقاءَ دائمين هذا مع اطمئنانه لمصيره وبشارة الرسول له بالجنة وثقته بوعد الله وما اعده لأَوليائه في دار كرامته من النعيم المقيم والسعادة الابدية حدث أَبو امامة رضي الله عنه قال ـ جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكَّرنا ورققنا فبكى سعد بن أَبي وقاص وأَكثر البكاءَ وقال ليتني متَّ . فقال رسول الله (يا سعد . ان كنت للجنة خلقت فما طال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك) .

وكن سعد على جانب عظيم من الزهد والورع لدرجة قد لا

تهضمها النفوس المريضة أو قد تظن أنها نسج من الخيال أو ضرب من المبالغة وما هي في الواقع إلا النموذجية في المنزع والمثالية بكل مدلولاتها واجلى مظاهرها روى من حديث - إبن عباس وغيره أن سعدا قال يا رسول الله أدع الله أن يستجيب دعائي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد (إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتي يطيب مطعمه) .

فقال سعد يا رسول الله إدع الله أن يطيب مطعمي فدعا لـه فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث اخذت . وسمع الصديق رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو لسعد ويقول (اللهم سدد سهمه واجب دعوته وحببه إلى عبادك .

هذه لمحة عابرة عن حياة سعدرضي الله عنه واسلامه وجلائل أعماله في عصر النبوة الوضيء المشرق .

سعد بين الامـارة والقيادة :

أسدل الزمن ستوره على عصر النبوة حيث لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى وهو راض كل الرضي عن سعد . وقلب صفحة جديدة سجل له فيها المواقف المشهودة والمآثر الحميدة والسياسة - الحكيمة والقيادة الرشيدة .

تمت البيعة للصديق رضي الله عنه فكان يرعي لسعد حقه وسابقته وحسن بلائه وعظيم جهاده ويعطف على وشيجة الرحم التي كان يدلى بها سعد إلى الرسول الكريم . واستعمله على صدقات هوازن قِبَل نجد فكشف بذلك عن مواهب سعد المكتنزة وكفاءته النادرة وخاصة في الأمور - المالية التي تتطلب الدقة ولا يضطلع بأعبائها الا من توفرت فيه مجموعة من صفات الكمال في طليعتها النزاهة والعفة وما إلى ذلك . وحسبنا بالصديق حنكة وبعد نظر ومعرفة بالرجال .

وآلت الخلافة إلى الفاروق عمر رضي الله عنه فلم يغير من وضع سعد شيئاً بل أبقاه على ما كان عليه في عهد الصديق إلى حين تطورت حروب فارس واستنفار أمير المؤمنين عمر للقبائل وإعلانه التعبئة العامة وكتابته لامراء الاجناد والبلدان والعمال باستنهاض أولى البأس والشجاعة والنجدة من وجوه العرب لانتدابهم لحرب الفرس وغزوها في عقر دارها جزاء وفاقاً لطغيانهم واجلابهم وتألبهم على المسلمين وكان ممن كتب له في ذلك سعد فجاءه منه جواب رصين - حصيف إمتلأ به أمير المؤمنين ثقة وأداك منه مدى إخلاص سعد لقضية الاسلام ونصحه للولاية ومبلغ اذعانه وصدوعة بأمر خليفة المسلمين وولى أمرهم . ومما جاء في كتابه :

إني قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم – وكان لهذا الكتاب أثر بارز إذ وافق استشارة الخليفة كبار صحابته واجالة الرأى معهم في اختيار من يعهد إليه بأمر القيادة العامة لهذا الجحفل الجرار الذى ضم وجوه العرب وسادتهم وحماة عرينها وخطباءها وشعراءها وقراءها ووعاظها وأولى البأس والشجاعة من أبطالها وقرأ الخليفة كتاب سعد بمسمع من أصحابه فاستروحوا منه الحزم والعزم والصرامة والرأى السديد فاستدعاه وقلده رئاسة الجيش العامة وندبه للعراق وكان سعد على صدقات هوازن – فقدم واستجاب لرأى الخليفة ووجهاء الصحابة وأوصاه الخليفة عمر بقوله : إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته – فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده – ويتفاضلون بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسرحه فيمن اجتمع من المسلمين وهم أربعة آلاف وأمده بعد خروجه بألفي يمانى وألفي نجدى .

وكان المثني ابن حارثه هو قائد الجيش في العراق في ثمانية

آلاف ومات المثني قبل أن يصل إليه سعد وسار بهذا الجيش اللجب حتي نزل القادسية .

ويطول بنا البحث لو أخذنا نتتبع كل ما دار من حروب ووقائع بين سعد والفرس . لذا سوف نقتصر على البشارة الكبرى بفتح القادسية بعد حرب ضارية ثم كتب سعد رضي الله عنه للخليفة عمر بالفتح - واستمر في ملاحقة جيوش فارس حتي فتح المدائن ودخل سعد إيوان كسرى وقرأ الآية الكريمة (كم تركوا من جنات وعيون وزروع) إلى قوله تعالى (قوماً آخرين) وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات وجمع الغنائم وارسلها للخليفة وفيها تاج كسرى مرصعاً بالجواهر وثيابه من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر واستمر الفتح الاسلامي إلى أن دانت دولة الأكاسرة لسلطان الاسلام .

أعمال سعد العمرانية في العراق :-

يعتبر سعد واضع اللبنة الأولى والحجر الأساسي في بناء الكوفة تلك المدينة ذات الشهرة والأثر اللامع في التاريخ الاسلامي ذلك أنه كتب لأمير المؤمنين عمر وقد سأله عن سبب تغيير سحنات العرب وهزالهم ممن شهد حرب فارس فكتب إليه سعد يقول : أن العرب خددهم وكفي الوانهم وخومة المدائن ودجلة

وعندئذ أمر الخليفة سعداً بارتياد موضع معتدل المناخ يجمع بين رخاوة ــ نسمات الفرات العليلة المنعشة وبين رياح الصحراء النقية الجافة مع مراعاة عدم وجود حواجز تفصل المسلمين عن عاصمة الخلافة فوقع اختيار سعــد بالاشتراك مع رائدى الجيش سلمان وحذيفة على موضع الكوفة شمالى القادسية وغربي الفرات وارتحل إليها سعد بمن رغب من الجند المرابط في المدائن وكتب لأمير المؤمنين بموقعها واعتدال مناخها وخصوبة تربتها وبما كان من أمر النقلة إليها وقد اختط فيها المسجد المشهور وقصره الذى بناه من أنقاض قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة وعهد سعد إلى أبي الهياج بن مالك في وضع تصميم الشوارع حسبما رسمه الخليفة عمر وابتني الناس الدور بشكل بدائي متواضع لا أثر للزينة أو الزخرفة فيه قال الأستاذ النجار في تعليقه على الكامل لابن الأثير (والكوفة في شكلها العام تشبه أن تكون كحلوان في نظامها واتساع طرقها إذا قارنا بين ارتفاع الحيطان وسعة المناهج والطرق لا في الرواء والزينة فكانت الكوفة تجمع بين سكني المدن وهواءِ ــ البادية وتربتها وذلك ادعي إلى صحة الاجسام وجودة الهواء لا ن سعة الطرق بمثابة الرئة للجسم وهكذا كان تصميم الكوفة باكورة الا عمال العمرانية الاسلامية في العراق وفاتحة عهد للتملك وتأثل العقار

خارج حدود الجزيرة والانسياح ضمن نطاق الدولة الاسلامية وفي حدود سلطانها .

سياسة سعد في العراق ومدى نفوذه :

ضم سعد إليه في الكوفة أمراءَ ثغورها إذ كانوا يرتبطون به بصفته الحاكم الاداري لهذه المقاطعة ـ العظيمة الممتدة حتي الموصل وقرقيسيا شمالا وحتي البصرة جنوباً ، ونعم سكانها باون من طراز جديد في الحكم على يد سعد قوامه العدل والمساواة .

وأهدافه الدعاية والتبشير بالدين الاسلامي ومدَّ رواقه ونشر المثل العليا ورعاية الحقوق العامة للفرد والدولة وهو نقيض ما كان عليه الاكاسرة من الظلم والجبروت والعنجهية وفرض نظام الطبقات الجائر البغيض ، سأل الخليفة عمر بعض من قدم من العراق عن سعد فقال تركته في ولايته أكرم ـ الناس مقدرة وأقلهم قسوة . هو لهم كالأم البرة . يجمع لهم كما تجمع الذرة ، أشد الناس عند البأس ، وأحب قريش إلى الناس ، وهو وصف جامع للفضائل وكريم الخلال .

الشغب على سعد وعودته من العراق :

واستمر سعد بيده . مقاليد الأمور بالكوفة ثلاث سنوات ونصف سنة عدا ماقضاه في المدائن ثم ابتلى بما يبتلى به

المؤمنون الصادقون في إيمانهم وعلى حد قول الشاعر العربي :

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتي يراق على جوانبه الدم

ابتلى سعد بنفر من نفايا بني أسد واسقاطهم نفسوا عليه واستثاروا ضده بعض قبيلهم ممن يتبع كل ناعق فأوغلوا في الفتنة ، وشدّوا الرحال إلى المدينة لغرض الايقاع بسعد عند أمير المؤمنين ويطول بنا البحث لو أفضنا في هذه القضية وطفقنا نستعرض القصة بتمامها ونعلل ونستنتج وحسبنا أن نعلم أن أمير المؤمنين اتخذ الحيطة في التنكيل بخصوم سعد ورغب في التهدئة ورأب الصدع وجمع الكلمة في الظروف الحرجة إذ كانت الأعاجم تتشكل وتترابط لتدافع دفاع المستميت والجيوش الاسلامية بدورها تتحفز للوثوب وتحتشد للزحف على نهاوند ، ومن باب حسم النزاع استبقي أمير المؤمنين سعدا بجواره ليفيد من تجاربه ويستعين برأيه وضنّ به على قوم يؤلبون عليه ويغضّون من حقه . وقد احتفظ له بالأحقية والأولوية في عمله وهو مايشبه أن يعبر عنه في دنيا الرسميات مع شيء من التجوز ، بالاستبداع فعندما حدثت المأساة باغتيال أمير المؤمنين عمر أوصي الخليفة بعده بأعادة سعد إلى عمله في العراق ان اخطأه للاختبار للخلافة .

وقال (إني لم أنحٍّ سعدا عن عمله لعجز أَو جبن أَو خيانة ، وقد خشيت أَن يلحقه من ذلك ألا فليستعن الخليفة برأيه) وهـذا اعتراف صريح من أَمير المؤمنين عمر بنزاهة سعد وكياسته وسديد رأيه وحسن تدبيره .

مبايعة سعد لعثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة : ـ

عندما انعقدت البيعة لعثمان رضي الله عنه بالخلافة لم ير سعد من الغضاضة عليه وقد كان احد المرشحين لها ان يكون في طليعة من بارك البيعة ومدّ اليها يده عن رضي واطمئنان وطيب اقتناع وتستوقفنا لهذه المناسبة خطبته العامرة بالمعاني السامية ، والأهداف الرفيعة والمبادئ القويمة الرائعة والتي جاءت عفو الساعة لدى مداولة الرأى ، مع من جعل لهم امير المؤمنين عمر حق اختيار الخليفة بعده ، قال سعد (الحمد لله بديئا كان وآخرا يعود ، احمده ، لما نجاني من الضلاله وبصرني من الغواية فبهدى الله فاز من نجا ، وبرحمته افلح من زكي ، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم انارت الطرق واستقامت السبل ، وظهر كل حق ومات كل باطل ، ايّاكم ايها النفر وقول الزور وامنية اهل الغرور ، فقد سلبت الأماني قوما قبلكم ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم

فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا ، قال الله عزّ وجل (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) اني نكبت قـرني فاخذت سهمي الفالج واخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسي فأنابه كفيل وبما اعطيت عنه زعيم والأمر اليك يا بن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع ، واستغفر الله لى ولكم واعوذ بالله من مخالفتكم)

ولايه سعد على الكوفة ـ في خلافة عثمان :

أما وقد آلت الخلافة الى عثمان رضي الله عنه واصبح المعنيّ بوصية سلفه الفاروق فلم ير مندوحة عن البدء بتنفيذ الوصيّة فيما يختص بسعد واعادته الى عمله في الكوفة ونزل سعد عند ارادة الخليفة عثمان في قبول الامارة ثانية ولبث فيها سنة وبعض اخرى حيث اقتضت المصلحة اعادته الى عاصمة الخلافة ليكون قريبا من امير المؤمنين وبذلك تم له في ولايته على الكوفة ما ينوف على اربع سنوات .

موقف سعد من الخليفة عثمان في محنته : ـ

وحدث الانقلاب على امير المؤمنين عثمان وسعد بالمدينة

موقفه من الخليفة موقف الوفي الأمين والمخلص المتفاني والبرّ الكريم بكل ما في الوفاء والاخلاص والبر من معني ، أسند بن جرير قال : ارسل عثمان رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص ليبعث به الى عمار بن ياسر يطلب منه الشخوص الى قومه من الثائرين ليقنعهم بالعودة الى ديارهم قال فدخل سعد علـى عمار وقال له يا ابا اليقظان الا تخرج في من يخرج وهذا عليّ فاخرج معه واردد هؤلاء القوم عن امامك فاني لأحسب انك لم تركب مركبا هو خير لك منه . ودخل على عثمان يوم الدار وهو محصور قبل ان يقضي الله فيه بحكمه وخرج وهو يسترجع مما يرى على الباب ويستغفر ويقول . لم اكن اظن ان الناس يجترءُون هذه الجرأة وما لبث ان جاء الامام عليا وقال له . يا ابا الحسن فداك ابي وأمي جئتك والله بخبر ما جاءَ به قط الى احد . تصل رحم إبن عمك وتأخذ بالفضل عليه وتحقن دمه ويرجع الأمر الى ما تحب قد اعطي خليفتك من نفسه الرضي . فقال الامام على تقبّل الله منه يا ابا اسحق . . وعندما اذلهمَّ الخطب وركب الثائرون الشطط وتنكّبوا السبيل ولما بلغ سعد خبر الفاجعة بكي واسترجع وقال قولته الرصيفة ـ فررنا الى المدينة فدنينا ـ وقرأ قوله تعالى (قل هل تنبئكم بالأخسرين

اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) ثم دعا على الثائرين بقوله ـ اللهم اندمهم ثم خذهم .

ولما سقط في ايدى الثائرين ورأو أنهم قد ضلوا السبيل وتعطلت الادارة في عاصمة الخلافة وامتنع وجهاء الصحابة من ان يمدّوا ايديهم للبيعة على أسنة الرماح التمس زعماءُ الثورة سعداً فألفوه في مزرعة له معتزلا خارج المدينة فبعثوا اليه يقولون (انك من أهل الشورى ورأينا فيك مجتمع فاقدم علينا نبايعك بالخلافة) فبعث اليهم بقولٍ فصْل وعبارة لا تحتمل المملاة والتأويل قائلا : (اني وابن عمر قد خرجنا منها فلا حاجة لنا فيها بحال وتمثلّ بقول الشاعر :

لا تخلطنّ خبيثات بطيبة   واخلع ثيابك منها وانج عريانا

واستقرا الرأى على بيعة الامام على بالخلافة ورأى سعد التريث ببيعته امداً ريثما يستتب الامن وتكون البيعة اكثر شمولا ويأمن الجمهور شر انقلاب اخر تسود فيه الغوغاء ولا يلبث ان يقوض صرح الخلافة من جديد . لذلك كان من قوله للامام على حين طلب منــه البيعة لا حتيّ يبايع الناس والله ليس عليك مني من بأس ـ وادرك الامام على الهدف

الذى يهدف اليه ـ سعد والنظرة البعيدة التي يرمي اليها فواقفه على رأيه في التريثّ ولم يقسره على البيعة ذلك لعلمه ، ان سعدا لن ينازعه السلطان ولن يكون في يوم ما حربا عليه .

وتثور الاعاصير وتحدث الاحداث ويحتدم الصراع وسعد الوديع المسالم معتزل في ديار بني سليم بالبادية جنوب شرقي المدينة لا يحرك ساكنا أو يتربص الدوائر او يدفعه الفضول لتقصي الاخبار وسير الحوادث عن كثب بل أشاح يوجهه واسدل ستارا كثيفا على مسرح الاحداث بحيث لا تصله أو يبلغه عنها شيً وقصده ، ابنه عمر عام اجتماع الحكمين وحاول التأثير عليه والخروج به عن العزلة وقال له يا أبت أن أبا موسي وعمارا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانت صاحب رسول الله عليه وسلم واحد الشورى ولم تدخل في شيً كرهته هذه الأمــة وانت أحق بالخلافة ، قال له : يا بني . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الله يحب العبد الغني الخفيّ التقي) وأورد بن كثير عن عمار قال : ذكر بعض أهل العلم ان ابن أخيه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص جاءَ ، وقال له يا عم ههنا مائة الف سيف يرونك أحق الناس بهذا الامر فقال سعد يا بن أخي .

اني أريد من مائة ألف ، سيفا واحدا . إذا ضربت المؤمن لم يصنع شيئا واذا ضربت الكافر قطع .

ثم ان سعدا ابتني له بيتا في العقيق على مسافة عشرة أميال من المدينة ونزله بعياله والخاص من أهله ايغالا منه في العزله وهربا من الخلطة والاحتكاك بالناس وكثيرا ما كان يتمثل بقول الشاعــر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصــوتّ انســان فكــدت اطيــــر

وذلك لما كان يجد فيه من المرمي البعيد والهدف السامي والعزاءَ والسلوان والتوّافق لما ينزع اليه من العــزلة ـ ومن طريف ما يروى عنه قوله وقد عوتب في اعتزاله بالعقيق وقيل له تركت منــازل اخوانك واسواق الناس ونزلت بالعقيق (رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال هناك عافية) وهذه السجّعات الجميلة والعبارات الأخّاذة إن دلت على شيءً فانما تدل على بعد النظرّ والجنوح الى السلامة وطلب العافية بالثمن الغالى وركوب الصعاب . واذا كانت المجالس ومجامع الناس وندواتهم على عهد البقية

الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على النمط الذى نعته سعــد فما الظن بمجالس وندوات من دفع بهم الزّمن الى آماد طويله تبعد بهم كثيرا عن عهد سعد وايامه رحمتك اللهم وعفوك .

هذا وان من غريب ما هداني اليه البحث ووقفت عليه من أخبار سعد أنه ارتحل الى الصين عام ٥٨٧ ميلادية بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وباعث ذلك ان ملكا من ملوكها رأى في المنام رؤيا عبّرها له الكهنة بظهور رجل عظيم في بلاد العرب فأرسل الملك من يتعرف له الخبر وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحّ عليه في إرسال رهط من قومه الى مليكه فبعث معه الرسول اربعة من صحابته كان من بينهم سعد بن ابي وقاص وقد استصحب رسول الملك صورة رسمها بيده للنبي الكريم .

فعمــد الملك إلى تعليقها والسجود اليها فمنعه سعد وقال ان رسول الله صلى الله عليــه وسلم يمنعنا من عبادة الصور والتماثيل وانه لا عبادة الا الله الواحد الأحد ـ فأعجب الملك بهذا المبدأ النزيه وأمر ببناء جامع في مدينة كانتون سماه جامع الشوقّ الى النبي وهو موجود الى الان ـ غير ان الذى

يتبادر الى الذهن ان هذه القصة لا ينهض عليها دليل قاطع اذ ان احداً من اعلام التاريخ أو مؤلفي السير لم يتطرق لذكرها وهم الحريصون عــلى تدوين كل شاردة وواردة مما صح به النقل عن الرسول الكريم ويؤيد هذا ما ذكره المؤرخون من ان دخول الاسلام الى الصين بدأ في سنة ٦٥١ ميلادية .

ودليل آخر يظهر زيف هذه الرواية ويكشف عن هلهلتها وبعدها عن الحقيقة هو ان ولادة الرسول الكريم كانت سنة ٥٧١ ميلادية ودخول سعد الى الصين كما زعمته الرواية كان سنة ٥٨٧ ميلادية اى ان فرق السنوات ما بين الولادة الكريمة ودخول سعــد المزعوم الى الصين ست عشرة سنة فهل يقر هــذا منطق وانما اوردتها لغرض الاستيعاب و لمقتضيات البحث وامانة النقل ثم لتقرير الحقيقة .

آثــار سعد العلمية :

تبلغ الاحاديث المروية عن سعــد في الصحيحين واحداً وسبعين ومائتي حديث وذكــر ابن حجــر في الاصابة ان من بين من روى عنه الاحاديث بنوه ابراهيم وعاصم ومصعب وعمر ومحمد وعائشة وروى عنــه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن سمرة .

ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب وابو عثمان النّهدى وقيس بن ابي حازم وعلقمة والأَحنف واخرون غيرهم .

صفاته الخلقيــة :

روى الواقدى عن عائشة بنت سعد قالت كان ابي رجلا دحداحا – أى قصيرا – غليظا ذا هامة شثن الاصابع – أى غليظها – وقال عامر بن سعد كان سعد جعد الشعر آدم وزاد بن كثير في البداية ان سعداً كان أشعر الجسد يخضب بالسواد .

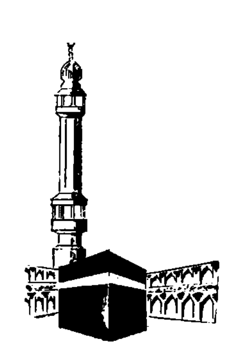
توجيهاته الرفيعة لبنيــه :

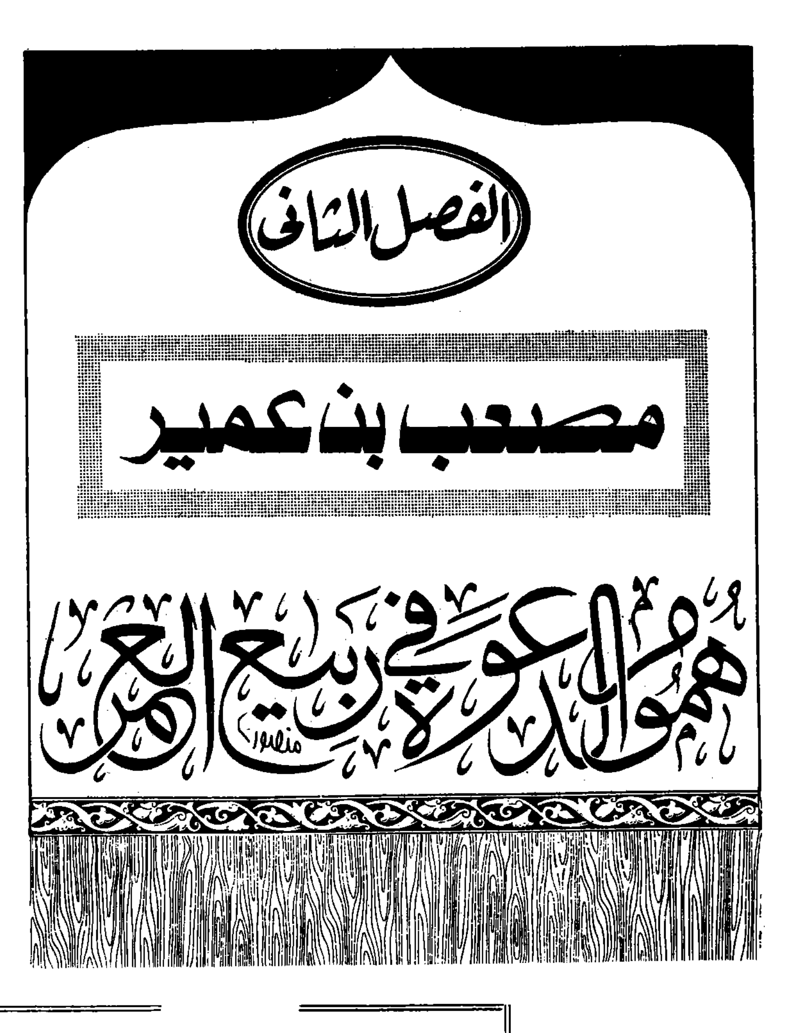
ان الله يدين للمؤمنين بحسناتهم فاعملوا لله واما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم فاذا نفدت قال – ليطاب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له – يابني اذا طلبت شيئا فاطلبه بالقناعة فانه من لا قناعة له لم يغنه المال .

نهاية سعد وخاتمته :

وطوى سعد اخر مراحل حياته في قصره بالعقيق . وقد كفّ بصره وجاوز الثمانين حدثّ مصعب بن سعد قال كان رأس أبي في حجرى وهــو يقضي فبكيت فقال ما يبكيك يا بني والله لن يعذبني الله أَبداً وانيّ من أَهل الجنة ثم دعا

بخلق بال من جبة له من صوف فقال كفنوني في هذه ، فاني لقيت فيها المشركين يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة على أصح الروايات وحمل إلى المدينة على الأعناق حيث صلى عليه أميرها مروان بن الحكم في خلافة معاوية وصلى بصلاته أمهات المؤمنين ودفن بالبقيع رضي الله عنه وهكذا دارت عجلة الزمن بحياة شخصية لها أثرها في فجر الاسلام ولها خطورتها في مجالات السياسة والقيادة والامارة والعمران .





ترجمته في :

الإصابة ٤٢١/٣ ط الأولى ١٣٢٨ هـ بمطبعة السعادة بمصر — والاستيعاب ٤٦٨/٣ ط الأولى ١٣٢٨ هـ على هامش الإصابة — وتهذيب الأسماء واللغات ٩٦/١/٢ ط : إدارة الطباعة المنيرية — وحلية الأولياء ١٠٦/١ الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ .



تمهيد :

مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الداربن قصي ، وقصيٍّ هو أول من إتخذ ملكاً في قريش وجلس على عرشه واجتمع عليه أمرهم وآل إليه نفوذهم وسلطانهم واحتكر حجابة البيت والسقاية والرفادة لنفسه . والرفادة خَرْجٌ كان قد فرضه قصي على القرشيين في خطبة أوضح فيها مكانة الحاج من حيث أنه ضيف الله في حرمه فهو أحق بالعناية وأولى بالرعاية وكان يضع ماترضخه قريش من أموالها في طعام وشراب للحجيج أيام مني .

وكانت النــدوة فكرة قصي أبرزها للوجود بتأسيسه داراً لتبادل الآراء والتشاور وعقد ألوية الحرب وعقود الزواج وما إلى ذلك من مهام الأمور .

ثم خلف قصياً في هــذا التراث إبنه الأكبر وبكره عبد الدار وكان ممن يجنحون إلى الدعة وعــدم الظهور فلم يشق له في الحياة طريقاً كأخوانه ورغب قصي أن يكون لعبد الدار مآثرة من مأثر الآباء ومحمدة تتحلىٰ بها الأندية

في الأَصقاع فأَعطاه دار الندوة وهي كما أَسلفت منتدى قريش وموضع تشاورهم وعهد إليه بالحجابة والسقاية والرفادة واللواء وقال له : أَما والله يا بني لأُلحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك . يقصد قصي أَن اخوان عبد الدار قد ركز كل منهم نشاطه في اتجاه لمع فيه نجمه وعلا كعبه فلم يعد في حاجة إلى المزيد من الجاه والنفوذ والسيطرة وقال فيما قاله لعبد الدار : لا يدخل رجل منهم الكعبة حتي تكون أَنت تفتحها ولا يعقد لقريش لواءُ لحربها إلا أَنت بيدك ولا يشرب أَحد بمكة إلا من سقايتك ولا يأْكل أَحد من أَهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ولا تقطع قريش أَمراً من أُمورها إلا في دارك . وبذلك جمع قصي لعبد الدار المحامد مما كان قد اختص به على قومه وكان له به عليهم العز والرفعة والجاه والسلطان واستمر الحال كذلك بعد قصي إلى أَن دب خلاف بين أَبناءَ العمومة من بني عبد مناف بن قصي وبني عبد الدار بن قصي وتنازعوا ما كان قد جعله قصي اولاده عبد الدار من أمر الحجابة . والسقاية والرفادة واللواء وانقسمت لانقسامهم قريش وتشيع كل فريق منهم لمن يناصره وكادت الحرب أن تنشب بين الفريقين ثم تداعوا للصلح واقتسم أبناء العمومة النفوذ واجتمع رأيهم على أن تكون الحجابة

واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت وأن يستقل بنو عبد مناف بالسقاية والرفادة – واستمر هذا الوضع وجاء الاسلام فلم يغير منه شيئاً بل لقد عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمر الحجابة عام الفتح إذ أرجع مفتاح البيت إلى سليل عبد الدار عثمان بن طلحة بعـد أن فتح البيت وصلى فيه . ويقول المفسرون أن سبب نزول آية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء ٥٩) هو طلب العباس بن عبد المطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضم إليه الحجابة مع السقاية فأنزل الله تعالى الآية أما الندوة فقد بقيت في سلالة عبد الدار إلى أن تولى أمرها حكيم بن حزام فباع دارها على معاوية ابن أبي سفيان وعلى توالى الأيام أُدخلت في المسجد الحرام وبقي أمر اللواء كذلك في بني عبد الدار فكان يتقابل في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب لواء المسلمين وصاحب لواء قريس وكلاهما داري . وفي غزوة بدر كان لواء المسلمين بيد مصعب بن عمير صاحب الترجمة رضي الله عنه وكان لواء المشركين بيد أبي عزيز أخي مصعب ومن الغريب أن يؤسر أبو عزيز يوم الواقعة فيمر به أخوه مصعب ويطلب من آسره أن يستمسك به ويشد عليه ويحرضه على طلب الفداء قائلا :

(أن أمه ذات متاع لعلها أن تفتديه منك) وبعد هذا التمهيد نعرض لشخصية صاحب الترجمة الصحابي الجليل مصعب بن عمير الدارى أول أستاذ منتدب وأول مبعوث حمل عام الهداية إلى وطن غير وطنه وبيئة لم يدوِّ فيها صوت الدعاة والمرشدين .

نشأ مصعب بمكة مسقط رأسه في بيئة منعمة مترفة وبيت هو من الشرف الرفيع والحسب الأثيل بمكان ومن الجدة واليسار والبذخ لدرجة لا تدانى ومن التأنق والتدليل لحد قل أن يبلغه إلا أفراد من مواليد النعيم سعداء الطالع مجدودى الحـظ .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول ما رأيت بمكة أحسن لمَّة ولا أدق حلَّة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير . وحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أُنظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، ولقد رأيت عليه حلَّة اشتراها بمائتي درهم ونقل صاحب الاستيعاب عن الواقدى قال كان مصعب بن عمير

فتي مكة شباباً وجمالا وتيهاً وكان أبواه يحبانه وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وكان أعطر أهل مكة ، باللترف وحياة النعيم وباللبذخ الوارف والعيش الرقيق - هكذا نشأ مصعب وهكذا كان ماضيه - ولكن الله جلت حكمته لم يشأ لمصعب أن يستمرئ هذا اللون من الحياة الرخية ويستمتع إلى أمد محدود بمتع زائلة وزهرات ذاوية - لم يشأ له الاخلاد إلى الحياة الدنيا والرضي بواقعه فيها وحظه منها وماله في الحياة الرفيعة الدائمة من نصيب وعلى حدّ قول الله تعالى : (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) (الشورى ٢٠) بل هيأ له حياة أمتع ونعيماً أبقي ومتعاً لا تزول وهناءة لا تنقطع هيأ له طريق السعادة فأدلج فيها وقذف في قلبه نور الإيمان فاستضاء بسناه ، وأوضح له معالم الهدى وطريق الرشاد فاعتنق الحق ومضي في الطريق .

سمع مصعب أن ثمة لوناً من الكلام لم يطرق سمعه وأن ثمة نوعاً من التحنُّث لم يسبق إليه وأن ثمة خريتا يهدى إلى السبيل السوى ويدعو إلى صراط مستقيم بيد أن الباطل حدّ من نشاطه فقبع في قلة من مشايعيه ومعتنقي تعاليمه قبع

في زاوية من الزوايا وفي منعطف دار الأَرقم ابن أَبي الأَرقم المخزومي بحيث لا يخلص إليه الطغيان ولا يصل إليه العابثون .

وانسلَّ مصعب من بين أَهله ومدلليه ومن بين صحبه ولداته ميمماً وجهه شطر ذلك النور المتأَلق شطر الهادى البشير شطر دار الأَرقم القائمة على التقي والإيمان والترابط واخوة الإِسلام واستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو آيات الله البينات فتشرق النفوس باشراقها وتهتدى القلوب بهدايتها وتتهذب العواطف برقة أَلفاظها وعذوبة معانيها ويتنبه الوعي بقرع جرسها وبلاغة تحدِّيها وروعة قصصها .

(قل لئن اجتمعت الأَنس والجن على ان يأَتوا بمثل هذا القرآن لا يأَتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (الاسراء ٨٨) .

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الاّ رجل يريد أَن يصدكم عمّا كان يعبد آباوكم وقالوا ما هذا الاّ افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم

قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير . قل انمّا اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سأَلتكم من أَجر فهو لكم ان اجرى الاّ على الله وهو على كلّ شيءٍ شهيد . قل ان ربيّ يقذف بالحق علاّم الغيوب قل جاءَ الحق وما يبدئُ الباطل وما يعيد . قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فما يوحي الى ربي انّه سميع قريب) (سبا ٤٣ ـ ٥٠) .

هذا البيان الاخّاذ كان له في نفس مصعب تأَثير السحر فغدا مأَخوذا بروعته وجلاله متأَثرا بتساوقه وحجاجه مؤمنا انه ليس من طراز كـلام البلغاء من قومه . المفوهيّن من عشيرته . وما هو الا ان شرح الله صدره للاسلام فاستجاب لصوت الداعي وقد ملك عليه مشاعره واحاسيسه واخذ من نفسه كل مأَخذ . وشهد شهادة التوحيد مذعنا لمدلولها وما تهدف اليه من الخروج عن عبادة المخلوق الى عبادة الخالق والانسلاخ من ذل الشرك والوثنية الى عزّ التوحيد والطاعة والترفع عن مهاوى الاثم والرذيلة الى أَوج المعرفة والفضيلة .

هجـرة مصعب الى الحبشة :

وغدا مصعب بعد اعتناقه لتعاليم الدين الحنيف أَحد اولئك المستضعفين الذين يكتمون اسلامهم ويسترقون الخطي الى دار الارقم بن ابي الارقم المخزومي حيث يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم . ، فيستمعون منه كلام ربهم العزيز الحميد ووصايا نبيهم وتوجيهاته ويعتصم فيمن يعتصمون بالقصيّ من الاماكن بعيدا عن أَعين الرقباءَ لعباده الله وحده وإخلاص الدين والصلاة في خشوع ومراقبة وطمأْنينة وايمان صادق بوعد الله ويقين بالغلبة والنصر المبين .

وتبلغ المحنة أَشدّها اذ يبصر به بعض بني قومه وهو قائم يصلى فيبلغ الخبر الى أَمه وذوى قرابته فيعتقلونه ويشدّدون إساره مبتغين بذلك قطع صلته بالرسول وصحبه ومحاولين التـأْثير عليه واثناءَ عزمه في الاستمرار على الدين الجديد وصدّه طوعا أَو كرها عن احتضان مبدأً يتركز في تعاليمه سب آلهتهم وتسفيه آراءِ شيوخهم والطعن في معتقداتهم ولكن عبثا حاولوا فان قوة الايمان في نفس مصعب لم تكن لتزعزعها الجبـال الرواسي ولم تكن لتؤثر فيها قوى الظلم اياً كان لونها والباطل ايا كان وضعه فليعتقلوا

ما شاء لهم الاستبداد وليضيقوا ما وجدوا الى التضييق سبيلا فان مصعبا سائر في طريقه موقن تمام اليقين من ان الضيق سوف يعقبه الفرج وانّ العسر سوف ينجلي عن يسر ورخاء وان طال الأمد (ومن يتقّ الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه انّ بالغ امره قد جعل الله لكل شيءٍ قدرا) (الطلاق ٣) .

وقد كان ما أملّه مصعب ورجاه فصدقه الله الوعد ولم يلبث الا اياما حتي اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة دفعا لاذى المشركين ورفعا لكابوس المحنة عنهم فخرج اليها عدد من المسلمين الأَول كان من بينهم مصعب اذ قد احتال لنفسه في الخلاص من محبسه ولاذ بالفرار واشتمّ نسيم الحرية الى جانب اخوانه في الله والعقيدة وخلصائه في الرخاء والشدة وحزبه في الحب والموالاة وكان في طليعة من هاجر ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجه رقية فأَحسن ملك الحبشة وفادة المهاجرين واقاموا بها على خير حال من العز والمنعة واظهار الدين وكان ذلك سنة خمس من البعثة غير أَن الحنين الى الوطن والرغبة الملحة في اجتلاء طلعة النبي الكريم والافادة من تعاليمه وتوجيهاته

وما الى ذلك حرّك فيهم الرغبة الى العودة وحدث ان ذاع خبر انضواءِ قريش لحظيرة الاسلام ومعايشتها للرسول فقوىّ ذلك من عزيمتهم على ابرام امر العودة وابراز الفكرة الى دور العمل غير أَن ما بلغهم عن اسلام قريش كان من معسول الاحلام فعندما واجهوا الحقيقة بعد ان صاروا من مكة قاب قوسين اتضح لهم امر قريش وانها ما زالت على الشرك والضلال ومناصبة الرسول العداءَ والتضييق على اتباعه ومعتنقي الدين الجديد فلم يستطع احد منهم ان يدخل مكة إلا في جوار قريب أَو عظيم من المشركين خشية الاذى والتنكيل ومن لم يجد مجيرا قفل من حيث أَتي وكان من بين من دخل مكة مصعب بن عمير رضي الله عنه وما دمنا بصدد تعليل بواعث العودة وملابساتها أَرى تتمة للموضوع ان نستعرض قصة ذكرها بعض المؤرخين واستطرد لذكرها بعض المفسرين عند آية (وما أَرسلناك من قبلك من رسول ولا نبي الا إِذا تمنيّ أَلقي الشيطان في أُمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (الحج ـ ٥٢) ويعزون إِليها ذيوع خبر اسلام قريش وعود مهاجرى الحبشة ـ ومجمل القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأَ سورة والنجم وعندما بلغ (ومناة الثالثة

الأخرى) ألقي الشيطان في قراءته هاتين المقطوعتين (تلك الغرانيق الالى وان شفاعتهم لترتجي) - ومضي في قراءته حتي بلغ السجدة فسجد وسجد معه المسلمون وسجدت قريش اذ قد عرض لمدح آلهتهم كما يزعمون على غير المالوف من التنديد بهم وهلهلة مقامهم - وهذا خلط وتناقض يردّه العقل ويأباه النظم القرآني اذ كيف يعقل ان حامي التوحيد ومجدد الحنيفيَّة من ارجاس الشرك والوثنية يسفّ فيجدّ آلهة القوم وأصنامهم ويعترف صراحة بنفوذهم وتصرفهم ويقرر موضوع الاستشفاع بهم وهو ما جاء القرآن بهدمه وابطاله وتشديد النكير على معتقده حاشا لله ومعاذ الله ان يصدر ذلك عن نبي الهدى المنزل عليه (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحي) (النجم ٤) (١) .

(١) قال بعض المحققين من ائمة التفسير في توهين هذه القصة ان هذه القصة لم يروها احد من أهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب والذى يدلّ على ضعفها واضطراب رواتها وانقطاع سندها إختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادى قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها . فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي وان النبي لمّا عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذى جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم =

ويذكر الاستاذ الخضرى تعليلا معقولا ارد هذه الخرافة في كتابه – إتمام الوفا – خلاصته أَن الهجرة كانت في رجب والعودة كانت في شوال ونزول سورة النجم كان في رمضان أَى أَن المدة بين نزول السورة وعودة المهاجرين شهر واحد وهنا يبدى استغرابه من وصول الخبر المزعوم خبر إسلام قريش إلى الحبشة في هذا الزمن الوجيز على حين أَنه لم يكن ثمة مواصلات ميسَّرة ترتبط بها أَجزاءُ المعمور فيسمع من بالحبشة أَخبار مكة في أَيسر أَمد ومعني ذلك هلهلة الرواية وبعدها عن الحقيقة وهو تعليل مطقي ويستقل الأُستاذ الخضرى في تعليل عودة مهاجرى الحبشة بقلَّة عددهم قال وفي الكثرة بعض الانس وبعدم انفساح الأَمل أَمامهم في إطالة أَمد الإقامة في دار الغربة وهم أَشراف قريش ومعهم نساؤهم وهو وضع لا يتفق مع ما ينزعون إليه من لون الحياة في بلادهم .

= قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه، أخرجه البخارى ومسلم، وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله (ص) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس –فهذا الذى جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها ، والذى ذكره المفسرون عن بن عباس في هذه القصة روى عن الكلبي وهو ضعيف جداً – ونقل صاحب المنار عن الكرماني قوله في شرحه للبخارى . وما قيل ان ذلك سبب لسجودهم لا صحة له عقلا ولا نقلا وذكر القسطلاني قوله وهو مبنى على القول ببطلان القصة من أصلها وانها موضوعة ا هـ .

إنتداب مصعب للتعليم :

كان مصعب رضي لله عنه من أُولئك الموهوبين الذين يضطلعون بالأَعباءَ الجسام ويحالفهم التوفيق فى محاولاتهم الميمونين أَينما حلوا و حيثما ارتحلوا ولهذه الموافقات التي لم تكن لتخفي على الرسول الكريم بعثه مع مسامي المدينة بعد بيعة العقبة الأُولى أَى سنة اثنتي عشرة من البعثة معلما ومفقهاً في الدين وداعية للاسلام وانموذجا للمسلم المثالى والشخصية التي تذوب فيها المفارقات وتنماع فيها الحزبيات والقوميات إلاّ حزبية الإسلام وقومية الدين واعترض مصعبا ما يعترض المصلحين عادة من متاعب ومصاعب في سبيل مهمته إذ قدم على أَناس بلغت بهم الشحناءَ مبلغاً دفع بهم إلى امتشاق الحسام واشعال نار الفتنة بينهم وبلغ بهم شق عصي الأُلفة ان حالفوا خصومهم ومغتصبي وطنهم اليهود بعضهم ضدّ البعض الآخر فحالفت الأَوس بني قريظة وحالفت الخزرج بني النضير وبني قينقاع وكان بين بين الفريقين الثارات والحروب المستمرة والأَيام المشهورة في التاريخ كان آخرها يوم بعاث قتل فيه أَكثر رؤسائهم وذوى المكانة فيهم وتبعا لذلك كانت الثارات والشحنات

وكانت الأَحقاد والضغائن ولذا قال بعثهم لرسول الله عليه وسلم إذ عرض عليهم الإسلام في العقبة بمني: تركنا قومنا بينهم من العداوة والشر مابينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أَعز منك - وقد تحقق هذا الأَمل المرجو فجمعهم الله على مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير واستطاع بلباقته وسياسته الحكيمة وحسن أَسلوبه في الدعوة أَن يرفع صوت الإسلام عالياً في تلك الربوع وأَن يركز في الأَفهام أَن الاخوة الإسلامية فوق الحزبيات وفوق أَى إعتبار آخر .

منزل مصعب في المدينة :

نزل مصعب حين مقدمه على أَسعد بن زرارة أَحد النقباء الذين كانت لهم الحظوة والشرف بمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم عن قومهم في العقبة الثانية وكان مصعب موضع التكريم والتجلّة من عامة من أَسلم من الفريقين الأَوس والخزرج ونصبوه إماماً لهم في الجمعة والجماعة وقد نصّ كثير من العلماء أَن أَول جمعة كانت في الإسلام هي الجمعة التي صلاّها مصعب بنقيع الخضمات - موضع بنواحي المدينة - واستمر مصعب في الإرشاد والتوجيه والدعوة إلى

الله بالحسنى دون ماجلبه أو صخب ودون ماتعمق أو تعسف
حتي كان الإسلام يغزو بيوت الأنصار بيتاً بيتاً فيمسي
الملأ يتحدّثون عن مصعب ودعوته وتعاليم دينه وما إن
تبدو تباشير الصباح حتي يغدو في عداد المسلمين يدوّون
بالقرآن ويتأدبون بآدابه ويترسمون مصعباً في تطبيق
تعاليمه والسير على نهجه . وأن من طريف القصص قصة
إسلام سيدى الخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن خضير
وقد كانا ممن أغضبهما غشيان مصعب لبلادهم دون إذنهما
ثم إجتماع الناس عليه وقبولهم دعوته واحتضانهم الدين
الذى جاء به دون تردد وتلكؤ قطعهم بذلك دون استشارتهما
وردّ الأمر إليهما وقد وقف كلا الرجلين على مصعب وفي
نفسه الرغبة في الإنتقام والتشفي من مصعب والنيل منه
ولكن لباقة مصعب وتصرفه الحكيم وحسن تخلصه بعد
سبق كتابة الله لهداية الرجلين أقول كان كل ذلك له الأثر
البالغ في تقريب مسافة الخلف وتوحيد الاتجاه وكسبه
الرجلين لصفوف المسلمين ولنستمع الآن للقصة يرويها إبن
هشام بالنص دون تصرف وتخيل إذا ذلك قد يبعدنا عن
حقيقة الغرض الذى سيقت القصة من أجله كأنموذج

للدعوة الناجحة والأسلوب الرصين وكنهج يجدر بالمرشدين والوعاظ والمصلحين أن يتأثروه ويسيروا على غراره لضمان الغرض والوصول إلى الأهداف يذكر ابن هشام أن أسعد بن زوارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ سيد بني عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلمّا سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك إنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فأزجرهما وأنههما عن أن يأتيا دارنا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منّي حيث قد علمت كفيتك ذلك . هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيد حربته ثمّ أقبل إليهما فاما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه فأصدق الله فيه ـ قال مصعب : إن يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتماً قال : ماجاءَ بكما إلينا تسفهان ضعفائنا إعتزلا إن كان بكما لأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أَو تجلس

فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهت كفّ عنك ما تكره . قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا : والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في اشراقه وتسهّله . ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذاً أردتم الدخول في هذا الدين قالا له : تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن . سعد بن معاذ - ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلمّا نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضباً مبادرا للذى ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده

ثم قال : والله ما أَراك أَغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أَن أَسيداً أَراد منه أَن يسمع منهما فوقف عليهما متشمتاً ثم قال لأَسعد بن زرارة يا أَبا امامة . أَما والله لولا مابيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني أَتغشانا في دارينا بما نكره وقد قال أَسعد لمصعب : أَى مصعب جاءَك والله سيد من وراءَه من قومه ن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ـ قال فقال له مصعب : او تقعد تسمع فان رضيت امر ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أَنصفت . ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأَ عليه القرآن قالا : فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم لأَشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون اذا أَنتم أَسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين . قال : فقام واغتسل وطهر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق ثم ركع ركعتين . ثم اخذ حربته فأَقبل عامداً الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال . يا بني عبد الأَشهل

كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة . قال فان كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتي تؤمنــوا بالله ورسوله قالوا فوالله ما أمسي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلم أو مسلمة ورجع اسعد ومصعب الى منزل اسعــد بن زراره فأقام عنده يدعــو الى الاســلام حتي لم تبق دار من دور الانصار الاّ وفيها رجال ونساءُ مسلمون ا هـ .

وهكذا كتب لمصعب رضي الله عنه التوفيق في مهمته والنجاح في دعوته والتسديد في اصابة اهدافه وسجلّ التاريخ له هذه الخطوات البعيدة المدى البارزة الاثر بين الاعمال المجيدة للمصلحين والعبقرية الفذة بين العباقرة الموهوبين وان شئت والفتح المبين بين الغزاة والفاتحين .

رجــوع مصعب من المدينة :

عاد مصعب رضي الله عنه من المدينة الى مكة بعد انتهاء مهمته عاد في جمع من تلاميذه وممن اسلم على يديه من الانصار وعاد لمصعب بعودته العناءُ ومصادرة الحرية والتضييق والارهاق ذلك ان قريشــا كانت لا تزال وارمة الانوف

ملتاثة العقول عارمة العواطف مهتاجة الوعي اذ قد تسرب الى علمها ان قد اصبح لمحمد انصار هناك بعيدا عن نفوذهم وسلطانهم وانهم لابد مخرجوه من بينهم وسوف يكون هو وإياهم إلباً عليهم ومن اجل ذلك زاد التضييق والاعنات زاد التعسف وعظم الخطب ولكنّ الله سبحانه قد جعل من وراء ذلك للمسلمين فرجا ومخرجا فاذن لهم في النقلة والارتحال الى حيث العزّ والمنعة حيث رحاب الاحبة ومغاني الخلصاء ورباع أَنصار الله ورسوله الى المدينة دار الهجرة ومأْزر الدين وملتقى الاخوة الصادقة والمبدأْ القويم - فكانوا يخرجون اليها متسللين خشية صدّ المشركين والحيلولة بينهم وبين ما يريدون ويعتزمون وكان في طليعة من هاجر مصعب بن عمير رضي الله عنه ونزل في المدينة على سعد بن معاذ بن النعمان في دار بني عبد الاشهل من الخزرج فكان من اكرم ضيف على اكرم مضيف . وكذلك كان كل من هاجر الى المدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم يلقي من الحفاوة والتكريم ما ينسيه غربة الدار وشط المزار ويزيح عنه عتمات الماضي الممض وطيوف المحن والعقابيل واتمّ الله عليهم النعمة بأَن جمع شملهم بالرسول الكريم صلوات

الله عليه وعليهم اجمعين فأتخذ المدينة مهاجرا وداراً ومركزاً لنشاط الدعوة الاسلامية وغدت منار الهدى والرشاد وموطنا صالحا للتكتل وتضافر الجهود ضد الظلم والطغيان وضد حركة العدوان التي تتزعمها قريش وحلفائها ومن لفّ لفها .

مصعب المجاهـد : ـ

نقرأُ الأَن صفحة جديـدة من صحائف اعمال مصعب الجليلة المفعمة بالتضحيات والمفاخر والزاخرة بـألوان من نشاطه في الجلاد واعمال البطولة والتي كتبها بدمه وسجلّ وقائعها بـأَروع انواع التضحيات فرفع بها الى عليينّ ورسم اسمه في سجل الخالدين من صدّيقين وشهداءَ وصالحين ـ حضر مصعب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعتي بدر وأُحد وكان يحمل فيها لواءَ المسلمين واللواءُ هو قلب الجيش الخفاق والمحور الذى يتركز فيه نشاطه وتدور عليه حركاته والرمز المثالى لمدى تجمعه ومبلغ استماتته في الكفاح .

ففي استبقائه بارزاً خفاقا على الرؤس ابقـاءُ للتماسك وحفظ للروح المعنوية والحسيّة للجيش وفي اسقاطه الدبّرة

والخذلان والهزيمة المحققة . ومن أجل ذلك كان حمل اللواءِ أَمرا له شأَنه ولحامل اللواءَ له مكانته بين المجموع وواقعة بدر كانت نسيج وحدها بين الوقائع اللامعة الفاصلة في تاريخ الاسـلام ، وشهودها والذائدون فيهـا عن حمي التوحيد لهم من فضل السبق والتضحية والايثار بالانفس ما نالوبه الحظوة وسامق الدرجات وحصلوا على الحصانة ضد أى قدح اليهم او خطيئة يوصمون بها أَو ذنب يقلل من قيمة نضالهم ويحطّ من اقدارهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد استأَذنه في قتل حاطب بن بلتعه حين كتب لقريش يكشف لها عن عزم الرسـول صلى الله عليه وسلم في غزوهم (وما يدريك يا عمـر لعل الله قد اطلع على أَهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم) ومصعب رضي الله عنه كانت له ميزات البدريين التي اختصوا بها دون سواهم اذ كان نجما لامعا في الواقعة ومناضلا لا يشق له غبار أَو تخبو له نار وهذه سبيله في الكفاح وقد اهـدر كل الوشـائج التي كانت تربطه مع تربطه مع خصومه وتجهم لها اذ وضع اخوة الاسلام ورابطة الدين فوق كلّ العلائق والصلات وسـما بهذا المبدأْ متحمسا

له ومتأثرا بما يعتلج في نفسه من ضرورة الحب في الله والبغض فيه وموالاة من والى الاسلام والتبرئة ممن جانفه - يذكر إبن هشام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل بالاسارى اسارى بدر فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا خيرا فكان ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الاسارى قال فقال ابو عزيز ، مرّبي اخي مصعب ورجل من الانصار يأسرني فقال يعني مصعبا - شدّيديك به فانّ أمّه ذات متاع لعلها ان تفتديه منك قال له ابو عزيز يا أخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب إنه اخي دونك وهذه الحادثة تظهر بجلاء مبلغ اشعاع نور الايمان في قلب مصعب ومدى تأثره بأخوة الاسلام واصطباغه بطابعها (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) (التوبة ٢٣) .

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدّهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

رضي الله عنهم ورضو عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) (المجادلة ٢٢)

أما واقعة أُحد فقد كانت خاتمة المطاف ونهاية الأعمال البارزة للبطل المجاهد والفارس المغوار مصعب رضي الله عنه — صال في أولّ المعركة وجال واعظم النكاية بالعدوّ بقدر الخطوات الواسعة التي كان يخطوها الى الامام فيشق الصفوف ويفلّ الجموع والراية بين يديه خفاقة تحتها الغطاريف من خيار الصحابة والميامين من جند الله البواسل وسجل التاريخ لمصعب في هذه الواقعة موقفين من اجلّ المواقف واعظمها اثرا وابرزها خطورة ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدف فيها للخطر مرتين فافتداه مصعب رضي الله عنه بنفسه وحال بين الأعداء وبين ما يبتغون من النيل منه ، عرض لرأس الكفر ابيّ بن خلف اذا أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصيح قائلا يا محمد لا نجوت إن نجوت عرض له مصعب فضربه على وجهه فاختلّ توازنه فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه فوقع عن فرسه وهو يخور ويتدحرج واستقبل إبن قمئة الليثي حين خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد الفتك به فافتدى

الرسول بنفسه وتناول سهما من يد خصمه عدو الاسلام بقلب مفعم بالايمان راض كلّ الرضي عن ربه اذ كتب له الشهادة بعد أن أبلى البلاء الحسن وناضل نضال الأبطال وقضي ولم يقض من الحرب لبانة وختم صفحته اللالاءة بهذه الصفقة الربحة وهو في العقد الخامس من عمره رضي الله عنه وأرضاه (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقّا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة ١١١) . (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله يلحقوا بهم امواتا بل احياءُ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهـم الله من فضله ويستبشرون بالدين لم من خلفهم الاخوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) (آل عمران ١٦٩ - ١٧١) .

روى الامام احمد وغيره من حديث إبن عباس رضي الله عنه قال قال رسول لله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة

في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم فقالوا من يبلغ اخواننا أننّا أحياءً في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أَنا أُبلغهم عنكم فأَنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلــوا في سبيل الله أَمواتا) . . الآيات .

هذا وقد قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم تضحيات مصعب بالعطف البالغ والتقدير العظيم يذكر المقريزى في كتابه (الامتاع) أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على مصعب رضي الله عنه وهو مقتول في بردة فقال : لقد رأَيتك بمكة وما بها أَحد أَرقّ حلّة ولا أَحسن لمّة منك ثم أَنت شعث الرأْس في بردة ثم أَمر به فقبر) ، ويذكر إبن هشام انّ حمنة بنت جحش زوج مصعب رضي الله عنه وعنها لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة أُحد فنعي اليها أَخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد لمطلب فاسترجعت واستغفرت ثم نعي لها زوجها مصعب فصاحت ولولوت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان زوج المرأَة منها بمكان) لما رأى من تثبتها عند أَخيها وخالها وصياحها على زوجها وفي بعض

الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لم قلت هذا فقالت يارسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لولده ان يحسن عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت له محمد بن طلحة فكان اوصل الناس بولدها .

نظرة مصعب الى الحياة :

ان المتتبع لسيرة مصعب رضي الله عنه والباحث عن آثاره ليدرك مدى ما كان ينزع اليه مصعب من الصدوف عن زهرات الحياة وملاذها والزهد في متعها ومباهجها والبعد عن مغرياتها وناعم عيشها مكتفيا منها بالصبابة مما لابدّ منه لتقويم الاود .

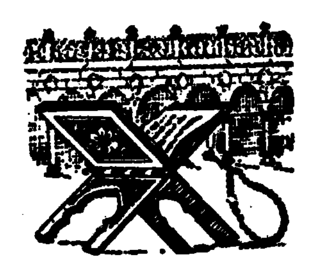
يقول الامام على رضي الله عنه : (جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست اليه في المسجد وهو مع عصابة من اصحابة فطلع عليه مصعب بن عمير في بردة مرقوعة بفروة غنم وكان انعم غلام بمكة وارفههم عيشا فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ما كان فيه من النعيم ورآى حاله التي هو عليها فذرفت عيناه وبكى وقال عمر

بن الخطاب : فسمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين ابوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلّة اشتراها بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ما ترون) فمصعب رضي الله عنه بهذا النهج قد نظر الى الحياة نظرة الى شيء تافه ليس هو في معياره الاّ مطفف مرجوح وقصاراه أن يتخّذ منها كما أراد الله تعالى حقلا للنتاج الصالح ومعبرا لحياة هي خير مآلا واضفي متعة وادوم نعيما واعظم فلاحا واكثر نُحجاً تلك هي حياة السعداء في دار الخلود وجنات عدن) ، (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءُون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (الشورى ٢٢) . ولهذا المسلك لم يترك مصعب رضي الله عنه لعقبه درهما ولا دينار و م يخلف لوريثه حفشـــا ولا حائطا ولا عقـــارا بل لقد أعوزته اللفائف يدرج فيها اذ وسّد الحد فساهمت الحشائش في ادراجه وكملّت نقص اسماله ومرقعاته – روى روى البخارى عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله صلى لله عليه وسلم فوقع اجرنا على

الله فمنّا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه مات يوم أُحـد وترك نمرة (النمرة كساء من صوف ملون) فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذ غطينا بها رجليه بد رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه الاذخر - رضي الله عنك وأرضاك أبا عبد الله . فلقد كانت حياته مليئة بالعبر حافلة بالعظات وعزاء لسواد الناس من فقراء وبؤساء وأمثالا بارزة ضربها لأصحاب المبادى وحملة مشاعل الهداية من مرشدين واساتيذ ومعلمين يقصر عنها جلد الجليد وصاحب العزم الصليد .

وهنا يحسن بي ان اذيل هذا البحث الماتع بسطور مشرقة لفضيلة الأستاذ محمد الغزالى اقتطفتها من كتابه (تأملات في الدين والحياة) جاءت في نهاية عرضه الموجز لحياة مصعب رضي الله عنه لتكون مسك الختام - قال الأُستاذ : كذلك مات الداعية البطل القارئ ان عدّ القراء . والفارس ان عدّ الفرسان . مات لم يشهد فتح مكة التي ضاقت بايمانه - فخرج منها ليصنع بيديه الرجال الذين يفتحونها بايمانهم مات في مراحل الجهاد ولم يحضر قسمة الغنائم ولم يستمتع بقليل

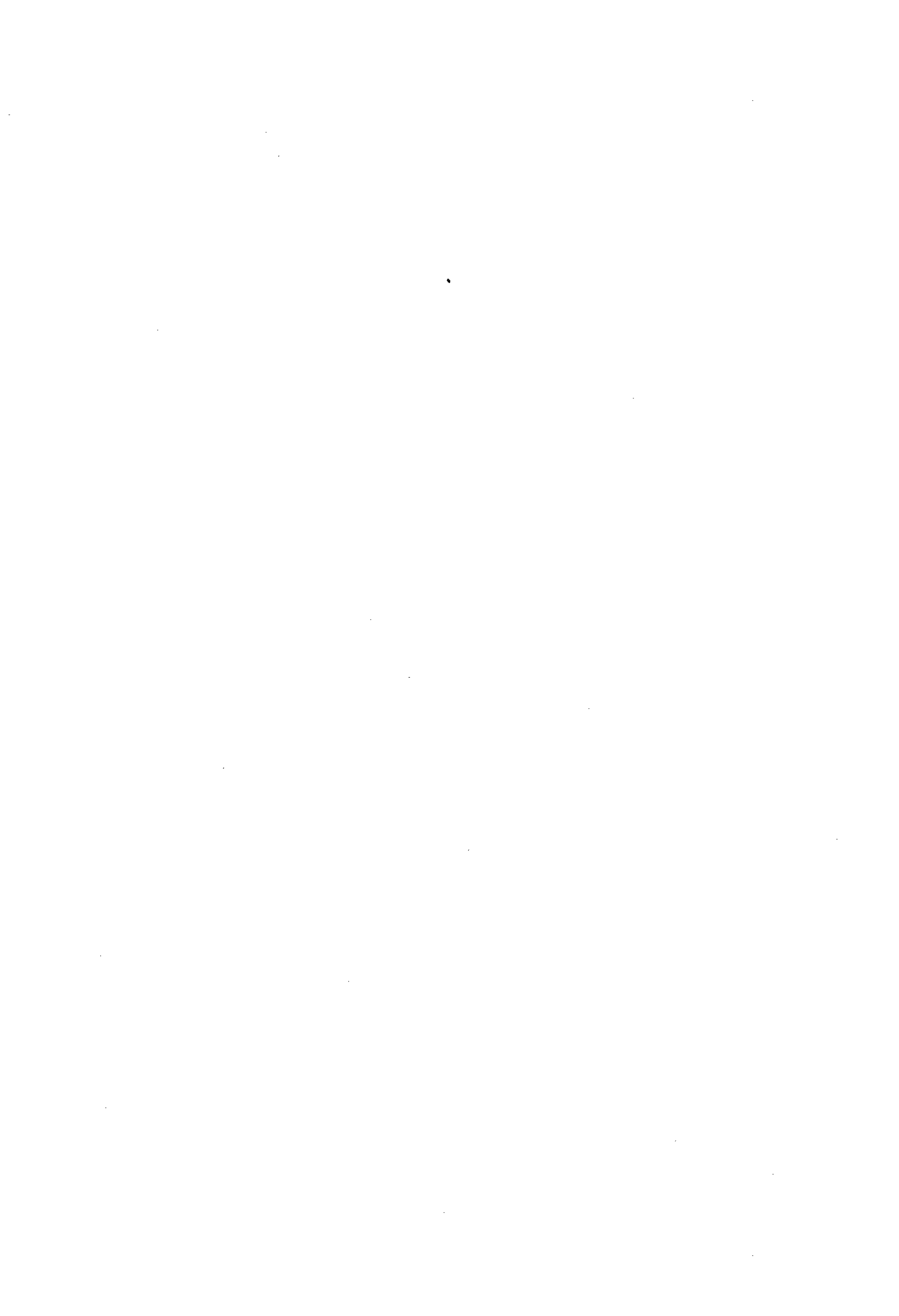
منها مات وهو الذى ذاق أول حياته معيشة القصور ثم لم يلبس الا الخرق أول من آمن ولم يكفن الا في الخرق يوم مات شهيدا – نعم مات بعد ان اسلم على يديه أسيد الذى تنزلت الملائكة لقراءته القرآن وسعد الذى احتفي بمقدمه – يوم مات – عرش الرحمن – ذلك هو الداعى الذى يجب أن يفقه سيرته الدعاة .





ترجمته في :

الاصابة في تمييز الصحابة ٢٠٢/٤ ط : الأولى ١٣٢٨ هـ بمطبعة السعادة في مصر — والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٠٢/٤ ط : الأولى ١٣٢٨ هـ على هامش الاصابة — وتهذيب الأسماء واللغات ٢٧٠/١/٢ ط : إدارة الطباعة المنيرية — وحلية الأولياء ٣٧٦/١ الطبعة الأولى بمطبعة السعادة في مصر ١٣٥١ هـ



أَبو هريرة رضي الله عنه

وعـــاءَ العلم الزاخـــر :

كنت قد كتبت كلمة مقتضبة دفاعاً عن أَبي هريرة رضي الله عنه لمناسبة استطالة أَحد الكتاب على هذا الصحابي الجليل ولكن نفسي ما برحت تنازعني في معاودة الكرة للكتابة في الموضوع بصورة أَوسع مستعرضاً ترجمة أَبي هريرة رضي الله عنه وما نقله العدول الأَثبات من نهجه وسيرته وما وصمه به المغرضون وما تجني به عليه المتجنون قديماً وحديثاً وما دافع به عنه المدافعون من حق لا مرية فيه وصواب لا يعتوره باطل أَو يكتنفه وهم وظنون وإِنني إِذ أَقوم بهذه المحاولة فإِنما أَقوم بها عن وازع ديني أَرجو عليه الأَجر من الله وواجب محتوم في عنقي بل في عنق كل مسلم يعرف ما لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حق الصحبة ويدين لهم بالمحبة وكريم المعاملة . ولنستهل الموضوع بترجمته رضي الله عنه .

أَبو هريرة كنيته : ولهذه الكنية قصة طريفة سوف نعرض لها في ثنايا الحديث . وقد تضاربت الأَقوال في اسمه واسم

أَبيه واختلفت الروايات في نقل الثابت في ذلك غير أَن المشتهر أَنه عبد الرحمن بن صخر وهو من عشيرة سليم بن فهم الأَزدى الدّوسي إحدى قبائل العرب الجنوبية . أَمّا سبب كنيته بـأَبي هريرة فـأَفضل من نسمع فيه ذلك أَبو هريرة نفسه . قال كنت أَرعي غنم أَهلى وكانت لي هريرة صغيرة كنت أَضعها بالليل في شجرة وإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها فكنّوني أَبا هريرة أَخرجه الترمذى بسند حسن . وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أَن أَسلم أَبو هريرة سماه عبد الرحمن أَو عبد الله وكناه أَبا هريرة . وقد كان يكني في الجاهلية بـأَبي الاسود . وسواءُ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى كناه ، أَو أَبوه بـأَبي هريرة فقد اشتهر رضي الله عنه بهذه الكنية وغلبت على اسمه وأَصبحت علماً عليه . ومن الطريف عن أَبي هريرة بصدد هذه التكنية قوله : لا تكنّوني أَبا هريرة فـإن النبي صلى الله عليه وسلم كنّاني . أَبا هرّ . ثم علّق – بقوله – والذكر خير من الأَنثي .

وهذا التعليق الوجيز إن دل على شيء فـإنما يدل على شخصية جذابة ينبع منها المرح الفياض ومنه نستخلص

أيضاً الترخيص في الدعابة والمرح إلى حدّ ما على شريطة ألا يبعث على الاسفاف أو يخرج عن الأدب واللياقة ومالنا نذهب بعيداً وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول إلاّ حقاً . ولعلنا نعرض لهذه الناحية في حياة أبي هريرة بصورة أوضح حيث نسرد له واقعات تشفّ عن نفسية مرحة إلى حد كبير .

نشأته :

نشأ أبو هريرة يتيماً فقد عطف الأب وحنوّه وفقيراً معدماً ذاق إلى جانب مرارة اليتم ألم الحرمان فرعي غنم قومه شأن كل معدم يبحث عن وسيلة للرزق تتفق مع إمكانياته المحدودة وتسير طبق نظام البيئة الرتيب .

إسلامه :

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من قومه سنة سبع من الهجرة وهو لم يعد الثلاثين من عمره قدم المدينة فألقي رسول الله قد اتجه صوب خيبر لغزوها فتبعه إليها وكان فتحها الله على المسلمين فأسلم رضي الله عنه وكلّم رسول لله صلى الله عليه وسلم المسلمين في إشراك أبي

هريرة ورهطه في سهام المقاتلين فأشركوهم ولقد كان فيما يروى من الملابسات لإسلام أبي هريرة قصتان واقعيتان أخذ أبو هريرة من الأولى عبرة وكان له من الثانية فرحة ايما فرحة ونستمع إليه وهو يقص القصة الأولى فيقول : قدمت المدينة مهاجراً فصليت الصبح وراء سباع بن عرفطة وقد استخلفه رسول الله على المدينة أى بعد خروجه إلى خيبر فقرأ في الركعة الأولى سورة مريم وفي الثانية ويل للمطففين قال أبو هريرة فقلت في نفسي ويل لأبي فلان لرجل كان بأرض الازد وكان له مكيالان مكيال يكيل به لنفسه ومكيال يبخس به الناس ا هـ .

فكان هذا التوجيه القرآني في طليعة مافتح سمع أبي هريرة إلى محاسن الدين وأغراضه أما القصة الثانية فهي أنه رضي الله عنه أضل غلاماً له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أعياه البحث وأرّقه التعقيب عليه ليله فلمّا أيس منه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بالغلام قد سبقه إليه فاستبدّت بأبي هريرة فرحة مزدوجة فرحة بالإسلام واجتلاء أنوار النبوة وفرحه بلمّ الشعث بالغلام الضّلول . وكان من حق هاتين

الفرحتين بل والنعمتين الضافيتين أن يتقدم بين يديهما بعمل مبرور اعترافاً بعظم المنة وعلى الفور وعندما قال رسول الله لأَبي هريرة هذا غلامك المفقود أَجابه بقوله : هو حر لوجه الله فكان هذا الصنيع من أَبي هريرة باكورة العمل الصالح والخطوة الأَولى في صدق الإستسلام لدين الله والاذعان له ولزم بعد ذلك أَبو هريرة رسول الله لا يريم مجاسه أَو يبعد عنه في سفر أَو حضر الا ما كان سنة ثمان عن الهجرة على ما نقله بعض الرواة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقاً للعلاءَ بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى عاهل البحرين لدعوته إلى الإسلام وأَوصي العلاءِ بأَبي هريرة خيراً فخيّره أَعني العلاءَ في أَحب عمل يسنده إليه فاختار الاذان استشرافاً لما أَعدّه الله تعالى للمؤَذنين من عظيم الأَجر والمثوبة وعاد من رحلته هذه وقد تكلّلت سفارة العلاءَ بالنجاح فأَسلم المنذر وأَسلم معه جميع العرب بالبحرين وصالح العلاءَ على جزية يدفعها المجوس التابعون لمنطقته ذلك أَن البحرين آنذاك كانت إحدى ولايات الفرس وكان المنذر يرتبط بدولة الأَكاسرة برباط أَدبي من حيث النفوذ والسيطرة .

يُمْن أبي هريرة على أمــه :

إن كان من المرجح في العقول أن لبعض الولد يمنا وفي ولادته فالا حسنا وبشير خير وبركة حيث يفتح الله على والديه ببركته من ضروب الخير ألواناً فان أبا هريرة كان من هذا الطراز الذى كان يمنا وبركة وبشير خير وفلاح على
من هذا الطراز الذى كان يمنا وبركة وبشير خير وفلاح على
والدته فلقد كان رضي الله عنه بعد إسلامه لا يفتأ يدعو والدته إلى هذا الخير الذى ساقه الله وإلى أن يهتصر واياها السعادة الأبدية ويجنيا ثمار الاسلام بعد أن يتفيّئا ظلاله غير أن عواطف والدته كانت سلبية تجاه هذه الدعوة فلم تصغ لصوت الداعي ولم تستجب لالحاف ابنها عليها وملاحقته لها كي تذعن لدين الله وتستجيب للدخول في جماعة المسلمين بل لقد بلغ تحمسها لدينها وجاهليتها درجة كانت تدفعها للنيل من رسول الله تمشياً مع الجاهلين وتطرفهم في البغض وصب جام النقمة على المرشدين والداعين ولكن أبا هريرة لم ييأس ولم يفتّ في عضده مباعدة أمه عن الإسلام وتجنيها على الرسول بل عمد إلى وسيلة أخرى هي أنجع الوسائل وأقوم الطرق للوصول إلى غايته وهي الركون إلى الرسول

صلى الله عليه وسلم ملتمساً عنده العلاج الشافي والبلسم الناجع لفؤاد أمه ولنفسيتها الجامحة وعقلها الضليل . وناهيك بطبيب الأرواح ومداوى القلوب نبي الرحمة والرؤوف الرحيم ، وشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلْبال أَبي هريرة والتياع نفسه ومُرّ شكواه من تصرفات والدته فرفع يده إلى السماء – قائلا : اللهم إهد أُمّ أَبي هريرة – وعندئذ جاء مدد السماء بما عجزت عنه وسائل أَبي هريرة ومحاولاته وإذا بوالدته ميمونة بنت صفيح بن الحارث تتحسس الطرق لتشهد شهادة الحق وتنضوى إلى جماعة المسلمين طواعية دون أى ضغط أو تأثير ويتهلل وجه أَبي هريرة بشراً وتنجاب عنه الغمّة ويغدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً مبشراً بإسلام أَمه طالباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يعاود الدعاء له ولأَمه أَن يحببهما الله إلى عباده وكانت الأَخرى فتحاً جديداً لأَبي هريرة حيث استجاب رسول الله لرغبته وأَعاد الدعاء قائلا : اللهم حبب عبيدك هذا وأَمه إلى عبادك المؤمنين وعلق أَبو هريرة على هذا الفتح بقوله . فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أَو يرى أَمي إلا وهو يحبني . ومن هذه القصة نلحظ مبلغ

العطف النبوى على أبي هريرة والحدب العظيم عليه

كسب أبي هريرة :

المعت فيما مضي من السطور أن أبا هريرة كان في ريعان صباه يتكسب من رعي الغنم لقومه ولعل ما عرف من استهجان العرب لمزاولة المهن والإشاحة عنها قعد به عن سلوك هذا المسلك إلا اني وقفت أثناء بحثي في دائرة المعارف الإسلامية على خبر مؤداه ان أبا هريرة كان يعيش أول أمره من عمل يده ولم تجزم الرواية بصحة هذا المنحى كما أنها لم تصرح بلون العمل الذى كان يتكسب منه . أما أنه نشأ في قومه فقيراً معدماً لا مال ولا نشب من ورق ونضار فذلك ما يكشفه لنا حديثه عن نفسه وهو بمعرض التحدث بآلاء الله ونعمه عليه بعد أن ابتسم له الزمان وغدى صاحب الطّول والمنّة فيه . نقل ابن كثير بالسند عن أبي هريرة أنه أمّ الناس يوماً فلما فرغ من صلاته رفع صوته فقال الحمد لله الذى جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً بعد ما كان أجيراً للبرّة بنت غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله . وفي رواية أخرى عنه أيضاً قال : نشات يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت

أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلى أحد وبهم إذا ركبوا واحتطب إذا نزلوا فالحمد لله الذى جعل الدين قواماً وأبا هريرة إماماً . والله يا أهل الإسلام إن كانت اجارتي معهم الاعلى كسرة باقية وعقبة في ليلة غبراءَ مظلمة ثم زوجنيها الله فكنت أركب إذا ركبوا وأخدم إذا خدموا وأنزل إذا نزلوا ا . هـ .

والذى يعنينا من هذا السيلى ونستخلصه أن أبا هريرة لم يكن له في ربيع العمر عمل يتكسب منه أو مورد رزق ثابت يتعلل به اللهم إلا ما كان من رعيه الغنم ثم تأجيره نفسه يجعل إلى أمدكما هو المتعارف ثم صحب بعد إسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه ملازمة الظل في غداوته وروحاته وفي حله وظعنه ونزل بصفّة المسجد النبوى فيمن نزلها من أصحاب رسول الله ممن نبذوا الدنيا وراءَهم ظهريا وقنعوا من العيش بالبلغة مما لعله أن يكون دون سد الرمق بكثير . وكانت معائشهم لا تقوم على نظام خاص ووضع مستقر فمرة ينفحهم بعض أهل الدثور بفضول الموائد والالطاف وأخرى يُدعُون مع رسول لله صلى لله عليه وسلم إلى طعام

قليل يباركه الله تعالى ببركة الرسول اظهاراً لمعجزته وثالثة يبيتون على الطوى يتلوّون من الجوع . ولقد تعرض أَبو هريرة لضروب من العنت في هذا السبيل وقاسى أَلواناً من المتاعب بغية الحصول على لقمة العيش ويصور لنا أَبو هريرة شيئاً من هذا الواقع المرير فيقول : لقد رأَيتني اخرّ فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة فيمر المار فيقول به جنون ومابي الا الجوع ـ والله الذى لا إله الا هو لقد كنت اعتمد بكبدى على الارض من الجوع ولقد كنت استقرئُ أَحدهم الآية وأَنا اعلم بها منه وما بي الا ان يستتبعني الى منزله فيطعمني شيئا ـ وحدث مرة فقال اتيت عمر بن الخطاب فقمت له وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرته فلمّا ، انصرف دنوت منه فقلت : اقرئني آيات من كتاب الله. قال وما اريد الا الطعام قال فأَقرأَني آيات من سورة آل عمران قلما بلغ أَهله دخل وتركني على الباب . فقلت ينزع ثيابه ثم يأْمر لى بطعام فلم أَر شيئا فلما طال عليّ قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمني فقال يا أَبا هريرة ان خلوف فمك الليلة لشديد ؟ فقلت أَجل

يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد ظللت صائما وما افطرت بعد . وما أَجد ما افطر عليه قال فانطلقت معه حتي اِلي بيته فدعا جارية له سوداءَ فقال اتينا بتلك القصعة فآتينا بقصعة فيها وضر (١) من طعام أَراه شعيراً قد أُكل وبقي في جوانبها بعضه وهو يسير فسميت وجعلت اتتبعه فاكلت حتي شبعت ا هـ .

وهذه القصة تشبه ظروفها قدح اللبن الذى دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَهل الصفة وليس ثمة في القدح غير الصبابة - ومع ذلك فقد شرب أَهل الصفة أَجمعون وقد خمصهم الجوع وبالتالى شرب أَبو هريرة حتي روى وكان يستقل ما يحويه القدح ثم شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي في القدح بقية . ومن مجموع هذه القصص ونظائرها ندرك بوضوح مدى النظرة التي كان ينظرها السلف رضوان الله عليهم الى الدنيا وبنوع أَخصّ هذا الطراز الذى كان منه أَبو هريرة والذى برهن بواقعه عن مثالية منقطعة النظير كان من أَبرز وحييها وإِلهاماتها هذه التضحيات الغامرة حرصا على الخير ورغبة في متعة متعة أَدوم نعيم اضفي في دار الكرامة والخلود .

(١) الوضر بفتح الواو والضّاد اثر الطعام في القصعة .

وهكذا كان أَبو هريرة رضي الله عنه المجلّي في هذا المضمار بما سرده لنا من أَحـداثه وبما حدثنا عنه من محنة وبلواه وبما قصه من ماضيه بعد أَن طأْطأْت الدنيا تحت قدميه ودانت صاغرة بعد طول ازوراره عنها وعزوفه عن مباهجها. وهو إذ يذكر ذلك الماضي المؤلم ويعمل له الموازنة بينه وبين حاضره الباسم النضير يترسم الهدى السديد في التحدث بالنعم اذ في التحدث عنها معني من معاني الشكر والاعتراف بفضل المنعم وعظيم أَياديه وسابغ فضله .

(لئن شكرتم لأَزيدنكم) (ابراهيم ٧) ، (وأَما بنعمة ربك فحدث) (والضحي ١١) .

موهبة ابي هريرة :

وأَبرز موهبة كان يتمتع بها أَبو هريرة تكاد تكون معجزة من المعجزات أَو خـارقة من الخوارق تلك هي موهبة الحفظ وقوة الادراك وتوقدّ الذهن لدرجة لا يبلغ فيها شأْوه ولا يشق معه فيها غبار ومن ثم كانت مثـاراً للدهشة وسبيلا للتكهنات وبالتالى غدت مجالا للتجني والاستطالة عليه والنيل منه قديما وحديثا – لم تكـن حافظة أَبي هريرة لتخو نه

ابداً مهما تقادم العهد وتباعد الزمن بل كانت على الدوام جهـاز تسجيل وتنبّيه الوعي لا يدع شاردة ولا واردة من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شتي نواحي العلم والمعرفة وفي كل مجال من مجالات الفقه والاحكام الا سجلها ووعاها حق الوعي واحتفظ بها لمناسبة التحديث ووقت الحاجة حتي قيل عنه انه مكثر ونشطت المحاولات لكشفه وسبر غور حافظته وعمـل اختبارات للتأكد من صدقه والتنقيب له عن هنات وقد نقل من تلك المحـاولات ان رجلا من قريش اتي أبا هريرة فقال : يا أبا هريرة انك تكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقـول في حلتي هذه شيئا قال والله أنكم لتؤذوننا ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ليبيِّننه للناس ولا يكتمونه ما حدثتكم بشيء . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان رجلا ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها حتي تقوم الساعة . ا هـ .

أجل إنَّ أَبا هريرة مكثر ما في ذلك شك ، فان من يستوعب صدره الوفـا من المرويات والمسموعات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراءَ في أَنه بلغ الرقم القياسي في الاكثار

وأوفي على القمة الا أنّه اكثار له مسوغاته ومبرراته وله ملابساته وظروفه فلا يصح ان يتخذ سلما للتشهير والنقد ولعلنا لو استقرينا الماضي القريب وقلبنا صفحات التاريخ لألفينا في حفاظ الحديث ورجال الاسناد ورواة الاخبار والقصاص من يرتفعون بنسب عالية في مجال الحفظ ويبلغون شأواً بعيداً في الاستظهار وقوة الادراك . واذا كان مثل هذا قد وجد في فريق من الناس عدّتهم فيه الكدح والجهد فلا غرابة اذن ان يتيسر اضعافه لأبي هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى اشرقت أنوار النبوة في جنبات نفسه ولمع فيها سناؤه وبلّل تربتها هتون النفحات ووابل الامدادات الروحية فحلّقت في سماء المعرفة واكتنزت من معين العلم بما يتفق مع طول الصحبة وامتداد أمد اللصوق بالرسول الكريم - وفي قصة بسط أبي هريرة رداءه للرسول صلى الله عليه وسلم للتحدّث فيه ثم ضم ابي هريرة للرداء وهي قصة مشهورة تناقلها العدول ورويت بالأسانيد الصحيحة في الترمذى وغيره أقول في هذه القصة ما يبرر مسلك ابي هريرة في الاكثار من التحديث ويسوغ له الضرب في مجال واسع من الرواية ذلك أنه أمن جانب السهو والخلط بهذا

الاكرام له من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذه المحاولة الروحية البحتة ولقد كان يقسم ابو هريرة بالله أنه لم ينس بعدها شيئا مما سمعه ووعـاه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن عجب أن هذه القصة رغم ثبوتها وصحة نقلها اتخذت غرضا للنقد والتجريح في ابي هريرة فقد وقفت في دائرة المعـارف الاسلامية على لمز أبي هريرة لهذه القصة وقد عدها صاحب دائرة المعـارف ملفقة زائفة امّا المحققون ممن عنـوا بترجمة ابي هريرة وتسجيل احداثه وأخباره وفي طليعتهم صاحب الاصـابة فقالوا عنها انها علم من اعلام النبوة ونقلوا في تأييدها الشيء الكثير مما يبعد الشبهة ويقضي على الظنّة من ذلك قول الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله وقد جاءه رجل فقال :

يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله منكم أم يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمع أو ما لم يقل فقال طلحة والله ما نشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم . إنا كنّا قوما أغنياء لنا بيوتات وأهلون وكنا تأتي رسول

الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار ثم نرجع وكان هو مسكينا لا مال له ولا أهل وانما كانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيث ما دار فما نشكّ انه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع ورواه الترمذى بنحوه — وقول الزاهد الورع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما — أَبو هريرة خير مني وأَعلم بما يحدث وفي رواية أَخرى يخاطب فيها ابن عمر أَبا هريرة فيقول — أَنت كنت أَلزمنا لرسول الله وأَعلمنا بحديثه — واخرج النسأَي بسند جيد في العلم من كتاب السنن ان رجلا جاءَ الى زيد بن ثابت فسأَله فقال له زيد : عليك بأَبي هريرة فانه بينما أَنا وأَبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكـره إِذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي جلس الينا فقال : (عودوا للذى كنتم فيه) قال زيد فدعوت أَنا وصاحبي فجعل رسول الله عليه وسلم يؤمّن على دعائنا ودعا أَبو هريرة فقال أَني أَسأَلك ما سأَلك صاحباى وأَسأَلك علما لا ينسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (آمين) فقلنا يا رسول الله ونحن نسأَل علماً لا ينسي فقال (سبقكم بها الغلام الدوسي) .

وناهيك بشهادة طلحة وابن عمر لأَبي هريرة بسعة العلم وادراكه ما لم يدركاه وحسبك بتأَمين رسول الله على دعـاء أَبي هريرة في أَن يهبه الله ذاكرة لا تخونه وقلبا واعيا لا يخذله فليس بدعا بعد هذا ان يصبح أَبو هريرة وعاءً زاخرا بالعلم والمعرفة يضرب بسهم في كل نواحي الدلالة والإرشاد وفي كل مجال من مجالات التبصرة والهداية – ولنستمع الآن الى دفاع ابي هريرة عن نفسه اذ انتقد على كثرة تحديثه ومختلف رواياته ثم ننتقل معه الى الكشف عن ظروف الزمته بالكبت ومؤاخذة نفسه على الاقلال من الرواية ضنّا بنفسه ان ينال منها وبجناحه ان يهاض .

أَورد بن كثير رحمه الله في ترجمة ابي هريرة ان مروان بن الحكم قال لأَبي هريـرة ان الناس قد قالوا انك أَكثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وانما قدمت قبل وفاة النبي بيسير – فقـال أَبو هريرة نعم قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير سنة سبع وأَنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة وأَقمت معه حتي توفي أَدور معه في بيوت نسائه واخدمه وأَنا والله يومئذ مقلّ واصلى واصبح وأَغزو معه فكنت والله أَعلم الناس بحديثه . قد والله سبقني قوم

بصحبته والهجرة اليه من قريش والأَنصار وكانوا يعرفون لزومي له فيسأَلوني عن حديثه منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فلا والله ما يخفي على كل حديث كان بالمدينة. وبهذا الدفاع تتداعي الشبه إذ من المعلوم بداهة ان العلم والتحصيل نتيجة للكـد والمثابرة ودوام الحرص والمواظبة على الطلب وكل ذلك كان مجتمعا في أَبي هريرة للصوقه برسول الله وطول ملازمته له .

أَما محاولة ابي هريرة الاقلال من مروياته فقد كان ذلك في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه اذ كان يرى ـ اعني الخليفة ـ ان في الاكثار من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقليلا من الاهتمام بالقـرآن وصداً عنه فقد أُثر من قوله بهذا الصـدد (اشتغلوا بالقرآن فان القرآن كلام الله) ونقل عنه حينما بعث أَبا موسي الى العـراق انه قال له (انك تـأَتي قوما لهم في مساجدهم دويّ بالقـرآن كدويّ النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالآحاديث وأَنا شريكك في ذلك. وعنه أَنه قال : اقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاّ فيما يعمل به أَى الاّ ما كان في تركه اثم إذ يعطّل العمل بسنة ويحلّ حـراماً ويحرّم حلالاً وهو

رأى مشهور للخليفة عمر رضي الله عنه واجتهاد يحاول به توجيه الأَنظار الى كتاب الله وضرورة الأَخذ به والعمل عليه وقسر الامة على الوقوف عند حدوده وقطع الشواغل عنه ايّا كان لونها وكيفما اتفقت ولذا كان يتحفظ في الرواية والنقل كثيرا وكان لا يسمح بقبول نقل حتى يطمئن اليه وحتي يجمع عليه الكثرة من الـرواة وله حوادث في ذلك معلومة منها قصة منعه لأَبي هريرة وكعب الأَحبـار من التحديث ـ قال لأَبي هريرة عندما بلغه اكثاره في الحديث لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَولأُلحقنك بارض دوس ـ هدّده بالنفي الى بلده ان عاود التحديث وقال لكعب قريبا من ذلك فامتنع بعد هذا الوعيد ابو هريرة من التحديث ، وكان يقول بعد وفاة عمر إني لاحدثّ احاديث تكلمت بها في زمان عمر أَو عند عمر لشجّ رأَسي ـ وأَخبر أَبو هريرة ايضا عن شدة عمر وتخويفه للرواة والمتحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نستطيع ان نقول قال رسول الله حتي قبض عمر وكان يقول ايضا لو كان عمر حيا أُفكنت أَحدثكم بهذه الآحاديث أَما والله اذن لأَيقنت ان المخفة ستباشر ظهـري ـ ويرى ابن كثير رحمه الله

ان هذه الشدة من عمر لم تكن الا خشية ان يتمادى الناس في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقع في الآحاديث شيء من الغلط والخطأ فيأخذها الناس قضية مسلمة على أنها أحاديث لا تقبل التمحيص أو نحو ذلك على أن عمر رضي الله عنه لم يستمر في سلبه ضد ابي هريرة بعد أن تبين له صدقه وأمانته في النقل ودرايته عن كل ما يحدث وتأكد عمر أيضا أن أبا هريرة على علم بالوعيد المنصب على المجترئين على رسول الله والمبتلين بتزوير الآحاديث وسلسلة الاسانيد .

أقول ان عمر عندما توفرت لديه كل تلك المعلومات سمح له في التحديث ورفع عنه الحظر. نقل ابن كثير عن مسدد بالسند يوصله الى ابي هريرة قال : بلغ عمر حديثي فأرسل الى فقال : هل كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان قال قلت نعم وقد علمت لم تسألني عن ذلك قال أى عمر ولم سألتك قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : (من كذب على متعمداً فليتبوأْ مقعده من النار) قال أمّا إذن فاذهب فحدث وثمة نأمة نقد توجهت الى ابي هريرة من السيدة عائشة رضي الله عنها في

مجال التحديث والاكثار منه قابلها ابو هريرة بحجاج حصيف اقتنعت به أُم المؤمنين وفيما يروى أنها أى السيدة عائشة لم تكن تنقم من ابي هريرة غير سرد الحديث والاكثار منه في المجلس الواحد لا انها وهنّته وضعفّته ـ كان كل هذا النقاش والمؤاخذة والأَخذ والرد مع ابي هريرة والناس في خير القرون وفي مجامع الصدر الاول وبين أُولى المكانة والقدر الرفيع فكيف بمن دونهم في الفضل والعلم والزهد والورع والكياسة بل كيف بمن تأَخر بهم الزمن كثيرا عن العهد الراشد ونشأوا في عهود رفعت الفتن فيها الرءوس وارتفع للباطل فيها ضوىً ومعالم لا بدع ان نرى احتكام الاهواءِ وتلوّن المنازع والمذاهب ولا غرابة أَن نسمع من الجافين والحانقين على صحابة رسول الله من أَلوان التجني ما يقضّ المضاجع ويصم الآذان من قوارع وقواصم ، اذكر بالمناسبة كتابا أَلّفه احد الشيعة بعنوان (أَبو هريرة) وكان يزعم ان الغرض من تأَليفه انصاف ابي هريرة والتحدثّ في جو بعيد عن الغرض والتحيّز ولكن ما في قلبه من الضغن على ابي هريرة أَفقده التوازن فبدلا من الانصاف المزعوم أَسرف في الاقذاع والتجني ووصم أَبا هريرة بالكفر والنفاق والكذب

والاجرام هذا مع انتساب المؤلف للعلم ومحاولته الاصلاح والتوفيق وليت شعرى اى اصلاح وتوفيق في الا ستطالة على صحابي جليل ورميه بالعظائم .

ولقد كان مما وقفت عليه بصدد هذا البحث كلام رصين لابن خزيمة رحمه الله في القرن الرابع صنف فيه اقوال المتجنين على ابي هريرة وأوضح فيه اتجاهاتهم والحافز لهم على الوقيعة في هذا الصحابي الجليل . نقله الاستاذ احمد شاكر في مقدمته للجزء الثاني عشر من مسند الامام احمد أَنقله بنصه ليكون شظيً في حلوق الحانقين وقذى في أَعين المبغضين لأَبي هريرة رضي الله عنه ونصراً لفريق المسلمين الذين يتولون الصحابة رضوان الله عليهم ويحبونهم ويعدلونهم جريا على السنة ورعاية لجانب الصحبة لخير الأَمة .

قال الأَمام أَبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة مهاجما خصوم ابي هريرة - وانما يتكلم في ابي هريرة من قد اعمي الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأَخبار .

إمّا معطل جهمي يسمع اخباره التي يرويها خلاف مذهبهم الذى هو كفر فيشتمون أَبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى قد

نزهه عنه تمويها على الرعاع والسفل وأَن اخباره لا تثبت الحجة .

وأَما خارجي يرى السيف على أُمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرى طاعة خليفة ولا امام اذا سمع اخبار ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أَخباره بحجة وبرهان فكان مفزعه الوقيعه في ابي هريرة.

أَو قدريّ اعتزل الاسلام وأَهله وكفّر أَهل الاسلام الذين يتبعون الأَقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها إذا نظر الى أَخبار ابي هريرة التي رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في اثبات القدر لم يجد حجة تؤيد صحة مقاله التي هي كفر وشرك كانت حجته عند نفسه ان اخبار ابي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها .

أَو جاهل يتعاطي الفقه ويقلبه في غير نظام اذا سمع أَخبار ابي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اختاره اما ما تقليداً بلا حجة ولا برهان – تكلم في ابي هريرة ودفع اخباره التي تخالف مذهبه ويحتج بأَخباره على مخالفيه اذا كانت اخباره موافقة لمذهبه .

وقد أنكر بعض هذه الفــرق على ابي هريرة اخباراً لم يفهموا معناها أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ا هـ .

وأنه لدفاع مجيد وكأنه يردّ به ضمنا على كل جاف من أهل عصرنا وكل متجن لا يرعي لأبي هريرة حقا او يعترف له بسابقة أو يكرم فيه عطف النبــوة وكرم الصحبة أو يكبر موهبته ويعترف بفضلها في حفظ قسم كبير من الدين وصيانته .

بسمة الأيام لأبي هريــرة :

لقد مرّ بنا فيما اسلفته من الحديث عن حياة ابي هريرة أنه نشأ فقيرا معدما لا نشب لديه أو نضــار ولا حفش له أو عقار وبعد إسلامه سكن صفّة المسجد على عيش دون الكفاف وأمضي على هذا المنوال عصر الرسول وعهد الصديق وفي خلافة الفاروق بعثه واليا على البحرين وبتتبع واقع ابي هريرة في هذه الولاية نجد انها كانت فتحا جديدا في دنيــاه اذ قد ابتسم له الزمن وارتفع عنه كابوس المحنة ونعم بالخير الكثير والفضل السابغ وغدى صاحب الطّوْل والمنّة واحصيت

ثروته بعد أن تقلّص ظل الامارة عنه فبلغت عشرة آلاف درهم وقد دار بخلد الخليفة عمر أن ثروة متضخمة كهذه التي حتجزها أبو هريرة لابد وأن تكون قد كتسبت بالطرق الملتوية واستغلال النفوذ فناقش أبا هريرة الحساب على قاعدة قانون (من أين لك هذا) فأجاب أبو هريرة على الفــور خيل نتجت وأعطيةٌ تتابعت وخراجُ رقيقٍ لى ، ولدى تعقيب الخليفة على هذا الدفاع لم يجد فيه غير صدق اللهجة وتقرير حقيقة واقعة فاسترضى أبا هريرة وعالجه في العودة إلى عمله ولكنه تخلص بلطف ولباقة قائلا: أخشى ثلاثا . أن أقول بغير علم ، أو أقضى بغير حلم ، أو يضرب ظهرى وينزع مالى ويشتم عرضى فتركه وأعفاه وقيل في هذه الحادثة أن الخليفة حين استدعي أبا هريرة شاطره أمواله جرياً على سنته مع عماله فأحدث هذا ردّ فعل في نفسية أبي هريرة بغّضت اليه الامارة. والذى يعنينا من هذه القصة التدليل على تبدّل حال أبي هريرة من الاعسارة والشدة إلى الرخاء والجدة ، على أن له مذهبا في المال لا يبقي له مدحراً أو يترك له غير صبابة . كان رضي الله عنه متلافا للمال في وجوه البِر والخير كان يستلم عطاءه من بيت المــال فلا يلبث طويل

أمد حتى يشاطر فيه البؤساءَ والمعوزين ويخفف به من متاعب المضطرين المكروبين ذلك انه شرب في ماضيه كأْس الفقر حتي الثمالة وأَثرت نفسيته طول أَمد صحبته للرسول الكريم وقد سمع منه الشيءً الكثير في فضائل الانفاق والبذل مما جعـله يستبق الحلبة ويحاول ان يكون المجلّي في هـذا الميدان ـ حدث ابو الزيزعة كاتب مروان بن الحكم قال أَراد مروان أَن يسبر غور أَبي هريرة أَى يقف على دخيلته في احتجاز الثروة فبعث اليه بمائة دينار فما أَمسى حتي تصدق بها فبعث مروان في اليوم الثاني طالبا منه رد النقود بدعوى أَنه لم يبعث بها اليه وانما كان ذلك غلطا من الخادم فقال ابو هريرة قد اخرجتها فاذا خرج عطأي فخذها منه . وحسبنا هذا دليلا بارزا على مبلغ عزوف ابي هريرة عن الدنيا وانصرافه عن جمع الثروة والأَدخار وتعشقـه للباقيات الصالحات من وجوه الخير واعمال البر .

مثالية ابي هريـرة :

يطول بنا البحث لو أَردنا التقصي في هذا الباب وتتبع

ما ورد من الأَخبار عن مثالية ابي هريرة ثم التعليق عليها ولو بعبارة موجــزة بيد أَنه من الخير ان نتوسط في الأَمر ونلمع الى ذلك المـــاعا بسرد بعض المنقول في هذا الباب دون تعليق أَو بسط .

نقل ابن كثير بالسند عن ابي عثمان النهدى قال كان ابو هريـــرة يقوم ثلث الليل وامرأَته ثلثه وإبنه ثلثه يقوم هذا ثم يوقظ هذا ثم يوقظ هذا وفي الصحيحين عنه أَنه قال : أَوصاني خليلى صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أَيام من كل شهر وركعتي الضحي وان أُوتر قبل أَن أَنـــام . قال أَبو عثمان النهدى قلت لأَبي هريرة كيف تصوم قال أَصوم أول الشهر ثلاثا فان حدث بي حدث كان لى أَجر شهرى — وروى عنه أَنه قال اني أُجزءَ الليـــل ثلاثة أَجزاءٍ فجزءُ لقراءَة القرآن . وجزءُ أَنام فيه وجزءُ أَتذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — ونقل ابن كثير ايضا بالسند قال كان لأَبي هريرة مسجد في مخدعه ومسجد في بيته ومسجد في حجرته ومسجد على باب داره اذا خرج صلى فيها جميعا واذا دخل صلى فيها جميعا . وقال ميمون بن ابي ميسرة كانت لأَبي هريرة صيحتان في كل يوم . أَول النهار صيحة

يقول فيها ذهب الليـــل وجاءَ النهار وعرض آل فرعون على النار . واذا كان العشي يقول ذهب النهار وجاءَ الليل وعرض آل فرعون على النار فلا يسمع أَحد صوته الا استعاذ بالله من النار – وقالت له ابنته يا أَبت . ان البنات يعيرنّني يقلن لم لا يحلّيك أَبوك بالذهب فقال يا بنية قولى لهن إن أَبي يخشي عليّ حرّ اللهب وروى الإمام احمد بالسند يوصـــله الى ابي هريرة قال . كان ابو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : (ويل لى من بطني ، ان أَشبعته كهظني وان أَجعته أَضعفني) وهذا قليل من كثير مما نقل عن مثالية ابي هريرة وروعه وتقواه .

مرح ابي هريـــرة :

لئن كان أَبو هريرة قد بلغ الذروة في مسلكه من حيث الزهد والورع والخشية من الله ومراقبته و ابتغاءَ مرضـــاته فان له اتجاها آخر قد يكـــون في نظر البعض مغايرا للمسلك الأَول لما فيه من التحرر واطلاق قيود النفس كي تـأْخذ حظها من المـــرح البريءِ والدعابة في حدود المبـــاح وهو في الواقع اعني أَبا هريرة متـأَس في هذا المجـال فلقد نقل لنا

في السنة من ذلك الشيُّ الكثير من ذلك ما رواه ابو هريرة نفسه قال : قالوا يا رسول الله أَنك تداعبنا فقال : (اني لا أَقول الا حقا) رواه الترمــذى ، وروى البخارى ومسلم عن أَنس رضي الله عنه قال : إنْ كانَ النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتيّ يقــول لأَخ لى صغير (يا أَبا عمير ما فعل النُّغير) وكان له نغير يلعب به فمات - ولأَنس أَيضاً أَن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (اني حاملك على ولد الناقة) فقال أَى الرجل ما أَصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل تلد الابل الا النوق) رواه الترمذى . وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (يا ذا الأُذنين) وقال لأَمرأَة عجوز (أَنه لا يدخل الجنة عجوز) فقالت وما لهن فقال (أَما تقرئين القرآن أَنّا أَنشأَنا هن انشاءً فجعلنا هن ابكارا عربا) وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم احتضن رجلا من البادية اسمه زاهر بن حرام احتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال أَرسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الحديث رواه في شرح السنة ا هـ .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المثل الكامل

قد عرف في اخلاقه وسلوكه أمثال هذا المــرح البرئ فلا بد أن يكون لهذه الروح انعكاسات في نفسية ابي هريــرة تجعله يستلمح الدعــابة ويستطرف الفكاهة والمرح . فكان الى جانب ما أسلفته من مثاليّة وشدة مراقبته لله وحرصه على الأخذ بأوفر قسط من العبــادة والطاعة كان إلى جانب هذا لا يرى بأسا من الترويح عن النفس والأخذ بأساليب الدعابة الى حد كبير .

قال حماد بن سلمة عن ثابت عن ابي رافع كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمــار ويلقى الرجل فيقول الطريق الطريق جاءَ الأمير – يعني نفسه – وكان يمرّ بالصبيان وهم يلعبون بالليــل لعبة الأعراب وهو أمير فلا يشعرون إلا وقد القي نفسه بينهم ويضرب برجليه يريد بذلك أن يضحكهم . فيفزع الصبيان ويفرّون عنــه ههنا وههنا يتضاحكون – قال أبو رافع وربما دعــاني أبو هريرة الى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير يعني قطع اللحم قال فانظر فاذا هو ثريد بالزيت – وعن ثعلبة ابن ابي مالك أن أبا هريرة أقبــل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان أى أميره على المدينة – قال : أوسع

الطريق للأَمير يا ابن أَبي مالك فقلت أَصلحك الله تلقي هذا . فقال أَوسع الطريق للأَمير والحزمة عليه - وروى غير واحد عن أَبي هريرة قال : جاءَني شاب فقال : يا أَبا هريرة اني اصبحت صائما فدخلت على ابي فجاءَني بخبز ولحم فأَكلت ناسيا فقلت . طعمة أَطعمكها الله لا عليك . قال ثم دخلت داراً لأَهلى فجيءً لى بلبن لقحة فشربته ناسيا قال قلت لا عليك . قال ثم نمت فاستيقظت فشربت ماءَ وفي رواية فجامعت أَهلى ناسيا . فقلت يا بن أَخي انك لم تعتد الصيام ا ه .

وفي مجاراة ابي هريرة لهذا الشاب وعدم انتهاره لون من الدعابة أَدخل به السرور عليه وكلاهما يعلم أَن المسأَلة لم تعد المزاح والمرح البرىءً .

من زاوية أَبي هريرة :

أَعي بهذه الزاوية اتجاها خاصا في الوعظ ومنحي لأَبي هريرة لعلّه من وحي المثالية وسوف أُطالع القراءَ بلون من هذا الاتجاه على سبيل الكشف ولضرورة الاستيعاب في البحث روى قتيبة بن سعيد بالسند عن أَبي هريرة قال : (اذا زوقتم مساجدكم وحلّيتم مصاحفكم فالدمار عليكم) ولعلّ أَبا هريرة يهدف بذلك الى الاشتغال بالمظاهر عن اللباب إذ الغرض

الأَساسي من بناءِ المساجد عمارتها بالعبـادة لا التزويق و الغرض من المصاحف العمل بما فيها لا الكسوة والتلوين – وروى الطبراني عن معمر قال بلغني عن أَبي هريرة أَنه كان اذا مرّ به جنازة قال روّحوّا فإنّا غادون أَو اغـدوا فإنّا رائحون أَى اذهبوا في الغداة أَو العشي فإنّا على الأَثر ثم قال (موعظة بليغة وعظة سريعة يذهب الأَول ويبقي الآخر لا عقل له)

وصعد مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعتبة فقال : (ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، ويل لهم من أَمارة الصبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب) وروى عطاء عن ابي هريرة قال اذا رأَيتم ستّاً فان كانت نفس أَحدكم في يده فليرسلها فلذلك أَتمني الموت ، أَخـاف أَن تدركني – اذا أُمرّت السفهاء وبيع الحكم ، وتهوّن بالدم ، وقطعت الأَرحـام وكثرت الجلاوزة ، ونشأً نشأْة يتخذون القرآن مزامير ، وعن زياد بن ثوبـان عن أَبي هريرة قال : (لا تغبطن فاجـرا بنعمه فان من ورائه طالبا حثيثا طلبه ، جهنم كلما خبَتْ زدناهم سعيرا) .

أبو هريـــرة على فراش المـــوت :

كل نفس ذائقة الموت ـ كل من عليها فان ـ هذا هو منطق الحياة الذاوية الفانية صوّرته الآيتان الكريمتان في جلال وروعة يبعثان على التأثر والعبرة . حياة خادعة مغرية باللذة توحي بطول الأمل ودوام المتعة لا يحدّ من سلطانها أو يخمد جذوة الحبّ لها في النفوس غيرها هادم اللذات (الموت) وكفي به من زاجـــر وهو النهاية المحتومة لكل من سار على الغبراء مهما طال أمد تقلبه فيها وتباعـــدت آماله ولقد شرب ابو هريرة كأس الردى واخترمته المنون وتلك سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكن الغريب الملحوظ وعي ابي هريرة وشعوره بالنقص وفساد الزمن وأحمال الليـــالى وما تلده في أعقاب الزمن من الاعاجيب والفتن السود ومن أجل ذلك كان من دعائه ألا يطـــول به الأجل الى عام الستين روى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال دخلت على ابي هريرة وهو شديد الوجع فاحتضنته فقلت اللهم أشف أبا هريرة ـ فقال اللهم لا ترجعها قالها مرتين ولعله يقصد روحه ثم قال ان استطعت أن تموت فمت والذى نفس ابي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يمر الرجل بقبر أخيه

فيتمني أنه صاحبه وفي رواية عن ابي سلمة قال : يوشك أَن يـأْتي على الناس زمان يكون الموت أَحب الى أَحدهم من الذهب الأَحمر - وروى عن غير واحد أَنه لما حضرت أَبا هريرة الوفـاة بكى فقيل ما يبكيك قال عـلى قلّة الزاد وشدة المفـازة وأَنا على عقبة هبوط أَمّا الى جنة أَو إلى نار فما الى ايهما أَصير - وأَخرج الأَمام احمد والنسأَي بسند صحيح عن ابي هريرة أَنه قال حين حضره الموت - لا تضربوا عليّ فسطاط ولا تتبعوني بجمرة واسرعوا بي وفي رواية أُخرى عنه أَيضا زيادة (ولا تنوحوا عليّ) - وكأَن بدعة اتباع الجنائز بالأَمور البدعية واتخاذ المياتم كان قد نشأَ منذ عهد ابي هريرة فحـذّر منه رضي الله عنه - ودخـل مروان بن الحكم على أَبي هريرة في مرضه الذى توفي فيه فقال شفاك الله يا أَبا هريرة فقال أَبو هريرة (اللهم إني أَحب لقاءك فأَحب لقائي) فما بلغ مروان السوق حتى مات أَبو هريرة .

وفـاته :

توفي رضي الله عنه في أَصيل يوم من أَيـام عام التسع والخمسين على أَصح الروايات بداره بالعقيق ونقل الى

المدينة وصلى عليه أميرها معاوية الوليد بن عتبة وفي المصلين عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدرى وجمع من الصحابة رضوان الله عليهم وكان إبن عمر يمشي أمـــام الجنازة مترحماً على ابي هريرة قائلا لقد كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع . وكتب الوليد بوفاة ابي هريرة الى معاوية فكتب اليه معاوية ان انظر الى ورثته فأحسن اليهم واصرف اليهم عشرة آلاف درهم وأحسن فأحسن اليهم وأصرف اليهم عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم واعمل اليهم معروفا فإنَّه كان ممن نصر عثمان وكان معه في الدار رحمهما الله تعالى .

وهكذا انتهت حياة هذه الشخصية الموهوبة وانطفأ قنديل العلم المتألق وانطوت صفحة المعرفة وأسدل الزمن حجب النسيان على آثار هذا العبقرى الخالد ومواقفه المشهودة في الإسلام وموهبته في حفظ أكبر قدر من السنة وانعكس الأمر فغدونا نسمع في كلّ يوم وكل مناسبة ثلباً لأبي هريرة وجهلا عليه بدلا من الترضي عنه ورعاية حقه ولا حول ولا قوة إلا بالله والموعد الله وهو أعــدل الحاكمين .

وصف ابي هريـــرة :

جاءَ في وصفه رضي لله عنه أَنه آدم أَى اسمر اللون بعيد ما بين المنكبين ذو غقيرتين اغرق الثنيتين وفي رواية أُخرى كان أَبيض يخضب .

آثـــاره العلميـــة :

قال الحافظ بن حجر في الأصابة ـ أَجمع أَهل الحديث على أَنه أَى أَبا هريرة اكثر الصحابة حديثا وذكر أَبو محمد بن حزم ان مسنّد بقي بن مخلد احتوى من حديث ابي هريرة على خمسة آلاف حديث وثلثمائة وكسر . وذكر الأُستاذ احمد شاكر في مقدمته للجزءِ الثاني عشر من مسند الإِمام احمد أَن المـــروى في المسند أَى مسند الإِمام احمد (٣٨٤٨) حديثا ومنها مكرر كثير ويصفو منها بعد حذف المكرر خير كثير ونقل صاحب الاستيعاب قول البخارى ـ روى عن ابي هريرة اكثر من ثمانمائة رجل بين صحابي وتابعي وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمرو وجابر بن عبد الله وأَنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين .

فهرست

الموضـــــوع	الصفحة

مطبوعات نادى الطائف الأدبي

١ ـ سوق عكاظ في التاريخ والأدب ... اعداد لجنة الآثار التاريخية بنادى الطائف الأدبي
٢ ـ البحث عن ابتسامة... ... ... محمد المنصور الشقحاء
٣ ـ لكل مثل قصة ... ... مناحى ضاوى القثامى
٤ ـ شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة للعالم (محاضرة) حمد الزيد
٥ ـ مسبكينة ... ... سعد الثوعى الغامدى
٦ ـ رحلة العمر ... ... على حسين الفيفى
٧ ـ هل للشعر مكان في القرن العشرين ... د. غازى القصيبى
٨ ـ خطرات في الأدب والفلسفة ... ... حمد الزيد
٩ ـ فلسفة السلام ... ... هشام ناظر
١٠ ـ معانــاة ... ... محمد المنصور الشقحاء
١١ ـ المضيفات والممرضات في الشعر العربي المعاصر عبد الرحمن المعمر
١٢ ـ ملف نادى الطائف الأدبي الأول ... اعداد النادى
١٣ ـ أجنحة بلا ريش ... ... حسين سرحان
١٤ ـ نظرات في الأدب والتاريخ والانساب ... على حسين العبادى
١٥ ـ رجل على الرصيف ... ... عبد الله سعيد جمعان
١٦ ـ صور من الحياة والمجتمع... ... ... على خضر القرني
١٧ ـ ذكـــريات ... ... احمد على
١٨ ـ خواطر في التنمية (محاضرة) ... ... د. غازى القصيبى
١٩ ـ حديث في الاعلام (محاضرة) ... ... د. محمد عبده يماني
٢٠ ـ البيوت أولا (محاضرة) ... ... هشام ناظر
٢١ ـ جوانب صحية في التشريع الإسلامى)
محاضرة ... ... حمد الدعيج

٢٢ – المحراب المهجور ... ... ابراهيم الزيد
٢٣ – كتاب القصة ... ... محمد المنصـور الشقحاء (كتاب دورى)
٢٤ – مقالات في الأدب ... ... أعداد النادى (كتاب دورى)
٢٥ – عذراء المنفى ... ... ابراهيم الناصر
٢٦ – نشر النور والزهر ج ١، ٢ ... ... محمد سعيد العامودى واحمد على
٢٧ – ملف نادى الطائف الأدبي «الثاني» ... اعداد النادى
٢٨ – معجم معالم الحجاز ج (١) ... ... عاتق بن غيث البلادى
٢٩ – مذكرات الخط العربي ... ... جلال أمين صالح
٣٠ – في الأدب والحرب ... ... حسين سرحان
٣١ – أهـازيج ... ... محمد ابراهيم جدع
٣٢ – نافذة على الحائط المهدوم ... ... هند صالح باغفار

طبع في
مطـابع البادية لـلاوفست
الرياض – ت ٤٧٦٧٦٢٣